



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne

AnIsl 46 (2013), p. 453-492

Al-Sayyid Muḥammad Al-Sa'īd 'Abd-Allāh

yahūdiyya-Al اليهودية ودورها فى الصراع الحميرى الأکسومى على عهد يوسف أسار بنقوش المسند
wa-dawruhā fī al-ṣirā' al-ḥimyyarī al-uksūmī 'alā 'ahd Yūsif As'ar bi-nuqūš al-
musnad

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711622	<i>BIFAO 126</i>	
9782724711059	<i>Les Inscriptions de visiteurs dans les Tombes thébaines</i>	Chloé Ragazzoli
9782724711455	<i>Les émotions dans l'Égypte Ancienne</i>	Rania Y. Merzeban (éd.), Marie-Lys Arnette (éd.), Dimitri Laboury, Cédric Larcher
9782724711639	<i>AnIsl 60</i>	
9782724711448	<i>Athribis XI</i>	Marcus Müller (éd.)
9782724711615	<i>Le temple de Dendara X. Les chapelles osiriennes</i>	Sylvie Cauville, Oussama Bassiouni, Matjaž Kačnik, Bernard Lenthéric
9782724711707	????? ?????????? ??????? ???? ?? ???????	Omar Jamal Mohamed Ali, Ali al-Sayyid Abdelatif
???	????? ?? ??????? ??????? ?? ????????? ?????????????	
????????????	???????????? ??????? ??????? ?? ??? ??????? ??????;	

- Beaucamp, J., Briquel-Chatonnet, F. et Robin, Chr., «La persécution des chrétiens de Nagrân et la chronologie himyarite», *Aram* 11-12, 1999-2000, p. 15-83.
- Beeston, A., «Chronological Problems of the Ancient South Arabian Culture», *Studies in the History of Arabia* II, King Saud University, Riyadh, 1984, p. 3-6.
- , «Himyarite Monotheism», *Studies in the History of Arabia* II, King Saud University, Riyadh, 1984, p. 149-154.
- Corpus Inscriptionum Semiticarum*, pars Quarta III, Paris, 1929.
- Cosmas Indicopleustes, *The Christian Topography*, translated by McCrindle, London, 1897.
- Diodorus of Sicily* II, translated by C.H. Oldfather, London, 1953.
- Doe, B., «Husn Algurab and the Site of Qana», *Le Muséon* 74, 1961, p. 191-198.
- , *Monuments of South Arabia*, New York, 1983.
- Drewes, A., «Kaleb and Himyar», *Raydan* I, Aden, 1978, p. 27-30.
- Huzayyin, S.A., *Arabia and the Far East*, Cairo, 1982.
- Jamme, A., *Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib)* III, Università di Roma, 1962.
- , *Sabaeen and Hasaeen inscriptions from Saudi Arabia*, Università di Roma, 1966.
- Keswani, D.G., «Indian Cultural and Commercial Influences in the Indian Ocean from Africa and Madagascar to South-East Asia», *Historical Relations across the Indian Ocean*, Unesco, 1974, p. 31-43.
- Mekouria, T., «Christian Aksum», *General History of Africa* 2, Unesco, 1981, p. 401-422.
- Moberg, A., *The Book of the Himyarites*, Lund, 1924.
- Muller, W., «Survey of the History of the Arabian Peninsula from the First Century A.D. to the Rise of Islam», *Studies in the History of Arabia* II, King Saud University, Riyadh, 1984, p. 125-131.
- Pirenne, J., «Recently Discovered Inscriptions and Archaeology as Sources For Ancient South – Arabian Kingdoms», *Studies in the History of Arabia* I/I, University of Riyadh, 1979, p. 45-56.
- Pliny, *Natural History* IV, translated by H. Rackham, London, 1952 .
- Porter, J.R., «Arabia Felix: Israelites, Jews and Christians», *Arabia and the Gulf: from Traditional Society to Modern States*, London, 1986.
- Procopius, *History of the Wars* I, translated by H.W. Dewing, London, 1914.
- Robin, Chr., «Le calendrier himyarite: nouvelles suggestions», *PSAS* 11, 1980, p. 43-53.
- , «Le royaume hujride, dit "Royaume de Kinda", entre Himyar et Byzance», *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et belles-lettres*, 1996, p. 665-714 .
- , «Himyar et Israël», *Comptes rendus des séances de l'Académie des inscriptions et belles-lettres*, 2004, p. 831-906 .
- , «Les Arabes de Himyar , des "Romains" et des Perses», dans *Semitica et Classica* 1, 2008, p. 167-202.
- , «L'Arabie à la veille de l'islam: la campagne d'Abraha contre La Mecque ou la guerre des pèlerinages», in A. Vauchez et J. de La Genière (éd.), *Les sanctuaires et leur rayonnement dans le monde méditerranéen: de l'Antiquité à l'époque moderne*, (Actes du XX^e colloque de la Villa Kérylos, 9-10 octobre 2009), De Boccard, Paris, 2010, p. 213-242.
- Ryckmans, G., «Inscriptions sud-arabes», *Le Muséon* 66/3-4, 1953, p. 207-317.
- , «Une inscription chrétienne sabéene aux musées d'antiquités d'Istanbul», *Le Muséon* 59/1-4, 1946, p. 165-172.
- , «Some Remarks on the late Sabaeen Inscriptions», *Studies in the History of Arabia* I/1, Riyadh University, 1979, p. 57-68.
- Sahid, I., «The Book of Himyarites», *Le Muséon* 76/3-4, 1963, p. 349-362.
- Shmitthener, W., «Rome and India», *JRS* 69, London, 1979, p. 91-106.
- Solá, J.M., «La inscripción GL. 389 Y Los comienzos del Monoteism en Sudarabia», *Le Muséon* 46, 1959, p. 197-206.
- Strabo, *The Geography of Strabo* VII, translated by H.L. Jones, London, 1966.
- Theophanes, *The Chronicle of Theophanes Confessor*, translated by C. Mango, and R. Scott, Oxford, 1997.
- Theophrastus, *Enquiry into Plants* II, translated by A. Hort, London, 1916.

ثانياً:

المراجع العربية والمعربة

- أحمد الدبش، كنعان وملوك بنى إسرائيل في جزيرة العرب، دمشق، ٢٠٠٦.
- أسْمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضارى لليمن القديم، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزئين الثاني والثالث، ط ٢، جامعة بغداد، ١٩٩٣ م.
- جرجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ط ٢، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٦.
- حسن بيرينا، تاريخ إيران القديم، ترجمة: محمد نور الدين والسباعي محمد السباعي، الأنجلو المصرية، ١٩٧٩ م.
- خليل يحيى نامى، العرب قبل الإسلام، دار المعارف، القاهرة، د.ت. رأفت عبد الحميد، ببنظة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- رياض مصطفى أحمد شاهين، «النشاط التجارى لليهود في الحجاز قبل الإسلام»، مجلة المؤرخ العربى، العدد الحادى عشر، المجلد الأول، القاهرة، مارس ٢٠٠٣، ص ٥٩-٩٧.
- سهام محمد عبد العظيم، «الصراع البيزنطى الفارسى في البحر الأحمر من عهد جستين الأول حتى نهاية عهد جستين الثانى»، ندوة البحر الأحمر عبر عصور التاريخ، حصاد (١١)، إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ٩-٨٢.
- شوقى عطا الجمل، «جزر البحر الأحمر ومضايقه وأهميتها الإستراتيجية»، ندوة البحر الأحمر عبر عصور التاريخ، حصاد (١١)، إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ٢٠٥-٢٢٠.
- عبد الرحمن الطيب الأنصارى وآخرون، مأسل، لجنة دراسات الكتابات العربية القديمة، الرياض ١٩٩٩ م.
- عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠.
- عبد المعطى بن محمد عبد المعطى سمس، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحيشة، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
- عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهره في العصور القديمة، ج ٢، الإسكندرية، ٢٠٠٥ م.
- ف. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد.
- رضا وعز الدين فودة، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.
- فتحي غيث، الإسلام والحيشة عبر التاريخ، القاهرة، د.ت.
- فوزى عبد الرازق بيلي مكاوى، «مملكة أكسوم»، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٧٤ م.
- لطفى عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، ط ٢، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
- محمد بيومى مهران، تاريخ العرب القديم، ج ١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤.
- محمد حسين الفرح، الجليد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، مج ٢، صنعاء، ٢٠٠٤.
- محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، بيروت، ١٩٨٥ م.
- ، في العربية السعيدة، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، صنعاء، ١٩٨٧ م.
- نشوان بن سعيد الحميرى، خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة، تحقيق: السيد على بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافى، القاهرة، ١٣٧٨ هـ.
- نورة عبد الله العلى النعيم، الوضع الإقتصادى في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م حتى القرن الثالث الميلادى، الرياض، ١٩٩٢ م.
- يورى ميخيلوفتش كويشانوف، الشال الشرقى الأفريقى في العصور الوسطى المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية، ترجمة صلاح الدين عثمان، عمان، ١٩٨٨ م.
- يوريس زارينس وآخرون، «تقرير مبدئى عن مسح وتنقيب نجران / الأخدود»، الأطلال، حولية الأثار العربية السعودية، العدد السابع، الرياض، ١٩٨٣ م، ص ٤-٥٨.

- اتسمت المصادر المسندية بأنها كانت الأكثر تجنباً لمظاهر التعصب الديني في تناولها لأحداث الصراع الحميري الأكسومي، رغم انتساب أغلبها إلى الملك اليهودي الديانة يوسف أسار.
- توخى الحذر والحيطه أمام المصادر النصرانية بصفة خاصة، لما افتقرت إليه من الكثير من الموضوعية في تصوير هذا الصراع، لاسيما فيما يتعلق بأحداث نجران، التي احتوت على قدر لا يستهان به من مبالغات جسيمة تجعلها تقترب كثيراً من التهويل.
- التوصية بتنقية التراث الإخباري وتمحيصه، لاسيما المتعلق بالتفسيرات التاريخية الواردة بآيات القرآن الكريم، حرصاً على قدسية وإجلال هذا المصدر الذي وصفه جلا وعلا بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ. تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت: آية ٤٢). حيث أبرزت هذه الدراسة، وبشكل واضح، أحد مواطن الخلط والالتباس الذي وقع فيه الإخباريون حينما ربطوا دون تمحيص اضطهادات نجران بالأخدود القرآني، متجاهلين تعارض ذلك - كما أشير من قبل - مع القرآن الكريم نفسه، وما جاء أيضاً بحديث نبوي شريف ورد بصحيح مسلم. هذا إضافة إلى عدم استناد هؤلاء الإخباريين، كعادتهم في مثل هذه الأمور، على دليل أثري كاف يدعم ما ذهبوا إليه.
- التوصية بتكثيف التنقيبات الأثرية ببلاد اليمن للحاجة الملحة لسد بعض من الفجوات التاريخية التي لازالت عالقة بالعصر الحميري، وخاصة بالفترة الأخيرة المرتبطة بزمن الملك يوسف أسار.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- إبن المجاور، تاريخ المستبصر، القاهرة، د.ت.
- إبن كثير (عماد الدين أبي الفدا)، مختصر تفسير إبن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، ج ٣، ط ٧، بيروت، ١٩٨١ م.
- أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب في الوثائق السريانية، دمشق، ١٩٩٦ م.
- النوى (محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف)، المنهاج شرح صحيح مسلم، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ج ١٧، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- أحمداني (أبي محمد الحسن بن أحمد)، الإكليل، تحقيق: نبيه أمين فارس، ج ٨، برنستن، ١٩٤٠ م.
- الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، ط ٦، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- القرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)، تفسير القرطبي، ج ١٠، القاهرة، د.ت.
- ، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، صنعاء، ١٩٩٠.

وعامة فأيماً كانت نهاية يوسف أسار الحميرى، فإن وقوع اليمن فى قبضة الأksomيين يعد انتكاسة مدوية لأكبّر ممالك اليهود الناشئة حينذاك بشبه جزيرة العرب، حيث أخذت على أثرها الديانة اليهودية ذاتها هناك فى التقلص والانحسار لفرار الكثير من أتباعها إلى خارج الأراضى اليمنية، حاملين مرارة الفراق والرغبة فى الانتقام. وأستقر بعضهم فى يثرب^{١٧٥}، بينما توجه البعض الآخر فى تجمعات كبيرة نحو «جزيرة تيران الحالية» الواقعة بمدخل خليج العقبة^{١٧٦} والمذكورة لدى المؤرخين البيزنطيين باسم «أيوتابا»، حيث نجح هناك هؤلاء الفارون فى تأسيس مستوطنة تجارية هامة، شبه مستقلة عن الدولة البيزنطية^{١٧٧}، مارسوا من خلالها العديد من المضايقات للتجار المسيحيين الذين لقيت شكواهم أذاناً مصغية لدى الإمبراطور جستنيان نفسه، الذى سارع بالإطاحة بتلك المستوطنة عام ٥٣٥م، موجهاً بذلك ضربة قوية لليهودية اعتبرها البعض من المؤرخين تنمة طبيعية لتدمير يهودية مملكة يوسف أسار الحميرية^{١٧٨}.

هذا ولم يكن اليهود الذين استقروا باليمن بعد يوسف أسار بأسعد حالاً من إخوانهم الفارين منها، حيث اضطّر معظمهم، منذ الوهلة الأولى من اضطهادات الأksomيين، إلى التخلّى عن عقيدتهم واعتناق النصرانية، أو ربما تظاهروا بذلك. وقد تجلّى هذا واضحاً عبر الفصل الرابع والأربعين من كتاب الحميريين، فى التعليمات التى أصدرها الملك كالب لجنوده عقب قهر يوسف أسار، بعدم قتل من يجدون علامة الصليب على يده مما دفع الكثيرين من اليهود إلى أن يسمون هذه العلامة على أيديهم للنجاة بأنفسهم^{١٧٩}. بل الأكثر من هذا فإن البعض من الأقبال الحميريين أنفسهم هجروا يهوديتهم طوعاً إلى النصرانية من أجل مكاسب ذاتية فى ظل الحكم الأksomى الجديد، وفى مقدمتهم القبيل اليزنى شميغع أشوع^{١٨٠}، حليفهم القديم المذكور عند پروكوبيوس باسم «Esimiphaeus»^{١٨١}، والذى عينه الأksomيون حاكماً تابعاً لهم على اليمن، كمكافأة منهم - طبقاً لما أشير إليه آنفاً - على غدره بسيدته يوسف أسار. وكان طبيعياً لمثل تلك الشخصية الخائنة بأن يتخلّى صاحبها طوعاً، من أجل هذا المنصب، عن يهوديته التى غابت شمس دولتها، ويسارع إلى اعتناق النصرانية. ولعل هذا يتجلّى وبوضوح بالغ بمجرد مقارنة نقوشه القديمة، كنقشى ينبق وحصن الغراب، الخاليين وبصفة تامة من كافة الرموز الدالة على مسيحيتهم^{١٨٢}، مع نقوشه الأخيرة التى دونها عقب اعتقاله لحكم اليمن كتابع للملك الأksomى، وخاصة نقشه الموسوم بـ«RES.3904»، والمعروف بنقش اسطنبول^{١٨٣}، والذى من شأنه بأن يؤكد - بما لا يدعو للشك - على اعتناقه للمسيحية التى تتجلّى بوضوح خلال العديد من الرموز الدالة على ذلك، لاسيما عبارتى «روح القدس» و«المسيح الغالب»، استهل بالأولى نقشه هذا واختتمه بالأخيرة. ويبدو ذلك واضحاً بالسطور الأول والثانى والعاشر من النقش السالف الذكر، فيما نصه^{١٨٤}:

١٧٥. رياض مصطفى أحمد شاهين، «النشاط التجارى لليهود فى الحجاز قبل الإسلام»، ص ٨١.

١٧٦. جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٣٨٥.

١٧٧. Procopius, *History of the Wars*, p. 179; also: Theophanes, *The Chronicle of Theophanes Confessor*, p. 217.

١٧٨. رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٧٧.

١٧٩. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب فى الوثائق السريانية، ص ٧٥.

١٨٠. عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، ص ١١٨.

١٨١. Procopius, *History of the Wars*, p. 189.

١٨٢. محمد عبد القادر بافقيه، فى العربية السعيدة، ص ٩٩.

١٨٣. Ryckmans, «Some Remarks on the Late Sabaeen Inscriptions», p. 61.

١٨٤. Ryckmans, «Une inscription chrétienne sabéenne», p. 167.

الذى يشير من خلاله وبجلاء تام عن نجاح الأكسوميين فى الاستيلاء على اليمن، وقتلهم للملك الحميرى وأقياله عام ٦٤٠ حميرياً^{١٦٢} المتوافق مع عام ٥٢٥ ميلادياً^{١٦٣}، وذلك بالسطور ٨-١٠، فيما نصه^{١٦٤}:

٨- ... | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢

... وأسى و / أحبش ن / زرف

... وأرسل الأحباش الحملة

٩- | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢

ت ن / ب أرض / حمى رم / كه رج و / ملك / حمى رم / وأق وله و / أح م ر ن /
بأرض حمير عندما قتلوا ملك حمير وأقياله الحميريين

| 𐩦𐩣𐩥𐩢

وأرحب ن /

والأرحبيين

١٠- | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢

ورخه و / ذحج ت ن / ذل أرب عى / وسث / مأت م / خرف ت م

وتاريخه (شهر) ذو الحجة (من) أربعين وستة مائة عاماً

وجدير بالذكر أنه يوجد تشابه واضح بين ما جاء بالمصادر الجعزية الحبشية، وتلك الأحداث السابقة التى أشار عنها نقش حصن الغراب، من نجاح تلك الحملة الأكسومية الثانية فى السيطرة النهائية على اليمن، حيث ورد بنقش جعزى دونه أحد الأحباش فى مأرب، يرجح بأنه يشير إلى حد كبير لتلك الحملة الأكسومية وإلى هذا النجاح الكبير الذى حققته. ولكن من المؤسف أن هذا النقش الجعزى يحوى قدر بالغ من التلف بمواضع عدة، حالت دون معرفة الكثير من تفاصيل تلك الحملة. ومع هذا فهو يقدم وصفاً دقيقاً لكيفية وصول السفن الأكسومية للساحل الحميرى بأنها كانت فى هيئة أفواج أو دفعات متتالية. ويذكر مدون هذا النقش بأنه كان ضمن فوج تبعه فوج آخر مكون من إحدى عشرة سفينة، رست جميعها

١٦٢. أجمع العلماء بأن العام الحميرى ٦٤٠ الذى شهد الغزو الأكسومى، يعادل عام ٥٢٥ الميلادى، وذلك إستناداً إلى إنهم وجدوا بأن تاريخ هذا الغزو بالمصادر النصرانية والبيزنطية والحبشية، يتفق مع عام ٥٢٥ ميلادياً، وهذا من شأنه أن يؤكد من ناحية أخرى بأن عام ١١٥ ق.م، هو البداية الحقيقية للتقويم الحميرى، حيث إنه يمثل الفارق بين سنوات هذين التقويمين المذكورين (عامى ٦٤٠ حميرياً و ٥٢٥ ميلادياً): عبد المنعم عبد الحلیم سيد، البحر الأحمر وظهوره فى العصور القديمة، ص ٣٦٧. وأيضاً: جرجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٧٨.

١٦٣. Beeston, «Chronological Problems of the Ancient South Arabian Culture», p. 3, also: Ryckmans, «Some Remarks on the Late Sabaean Inscriptions», p. 58.

١٦٤. *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, p.55-56.

وجدير بالذكر أن الكتابات الإخبارية تتفق مع ما ورد بالنقش السالف، حيث يشير ابن المجاور بالقرن العاشر الهجرى عن سلسلة معدنية مدت عبر مضيق باب المنذب، وأن لها آثار استمرت موجودة حتى زمنه^{١٥٣}، وذلك فى قوله: «بنى العرب على جبل مندب حصناً يسمى بعد، ومُد بسلسلة من بر العرب إلى الحبشة ... وبقي الحصن إلى أن هدمه التبايعه ... ورفعت السلسلة وبقي أثرها إلى الآن...»^{١٥٤}.

هذا وفى الوقت ذاته كان الجانب الحبشى يشهد هو الآخر استعدادات ضخمة لتجهيز حملة ثانية لغزو اليمن. ويذكر كوزماس، كشاهد عيان، بأن تلك الاستعدادات لهذه الحملة المنتظرة، كانت تتم عبر ميناء أدوليس^{١٥٥}، وذلك من شأنه أن يرجح بأنها قد أبحرت منه إلى اليمن^{١٥٦}. هذا وقد تضاربت المصادر وبشكل واضح حول قيادة تلك الحملة؛ فعلى سبيل المثال ورد بكتاب الحميريين كأحد الوثائق النصرانية عبر فصله الثانى والأربعين، بأنها أسندت إلى قائد باسم «زاونس»^{١٥٧}، بينما يرفض ذلك الإخباريون ويذكرون بأنها كانت تحت إمرة قائدين أحدهما يدعى «إرياط»، والآخر معاون له ويدعى «أبرهه»، وأن الأخير قد نجح - فيما بعد - فى أن يصبح ملكاً على اليمن^{١٥٨} بعد أن تأمر على قتل إرياط خلال مبارزة حدثت بينهما، أصيب أثناءها فى أنفه، ولذا عرف لدى هؤلاء الإخباريين بـ «إبرهه الأشرم»^{١٥٩}. ورغم أن هذا الطرح الإخبارى الأخير يتفق، إلى حد كبير، مع ما ورد بمصدر بيزنطى شهير فى حجم بروكوبيوس الذى ذكر بأن أبرهه هذا كان بالماضى عبداً لتاجر رومانى بأدوليس، وقد أصبح بفضل تلك الحملة ملكاً على اليمن بعد أن أطاح بحاكمها الذى نصبه الأحباش^{١٦٠}، غير أن هذا المؤرخ البيزنطى لم يذكر عن أبرهه هذا بأنه قاد تلك الحملة الأksomية التى هاجمت اليمن. هذا بالإضافة إلى إنه لم يشر أيضاً من قريب أو بعيد عن شخصية باسم إرياط المذكور بكافة المصادر الإخبارية.

وعامة فأياماً كان القائد الذى أسندت إليه تلك الحملة الأksomية، فإنه طبقاً للنقوش المسندية، قد نجحت، وبشكل لا يدعو إلى الشك، فى هزيمة يوسف أسار والسيطرة على اليمن. ويتجلى ذلك واضحاً عبر نقش مسندى وحيد موسوم بـ «CIH.62I»، ومشهور لدى المؤرخين المحدثين بنقش «حصن الغراب»، وذلك نسبة إلى تدوينه على صخرة هناك لحصن يحمل تلك التسمية، كان قديماً يعرف بـ «مويت [X 9 0]»، يطل على ميناء قنا (الواقع بساحل المحيط الهندى والمعروف حالياً بـ «بئر على»)، وينسب تدوين هذا النقش إلى أحد الأقبال اليزنيين ويدعى «شميفع أشوع [O 9 9] | [O 0 3 3]»^{١٦١}،

١٥٣. يورى ميخايلوفتش كويشانوف، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسطى المبكرة، ص ٥٧.

١٥٤. ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٥٥.

١٥٥. Cosmas Indicopleustes, *The Christian Topography*, p. 55

١٥٦. Robin, «Le royaume Hujride», p. 701

١٥٧. Moberg, *The Book of the Himyarites*, p. civ

١٥٨. الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ص ١٢٥. أيضاً: نشوان بن سعيد الحميرى، خلاصة السيرة الجامعة، ص ١٤٩.

١٥٩. Robin, «L'Arabie à la veille de l'islam», p. 214- 215

١٦٠. Procopius, *History of the Wars*, p. 191, Robin, «L'Arabie à la veille de l'islam», p. 225

١٦١. Doe, «Husn Algurab and the Site of Qana», p. 192

جنوب شرقى الحيرة، تعهدت خلالها بيزنطة بأن تكف عن أطماعها ببلاد النهرين، على أن يرفع الفرس أيديهم عن اليمن ويغضوا الطرف عما سوف تنتهجه بيزنطة من إجراءات لتأديب يوسف أسأر، الذى بات يهدد وبشكل خطير مصالحتها بالمنطقة^{١٤٧}. هذا فضلاً إلى أن هناك عوامل أخرى ساهمت أيضاً بدور فعال فى انصراف الفرس عن تدعيم هذا الملك الحميرى، ارتبط أبرزها فى انشغال ملكهم قباز حينذاك بمواجهة المزدكية فى بلاده. كذلك أيضاً فإن الفرس أنفسهم كانوا غير مرحبين بسياسات يوسف أسأر التعسفية تجاه التجار البيزنطيين، لما نجم عن ذلك من أضرار هائلة منيت بها المصالح الاقتصادية الفارسية فوق مياه البحر الأحمر، من جراء تقلص حجم التجارة الدولية بتلك المنطقة الحيوية، والتي كان لها تأثيرها السلبى على تجارتهم. علاوة على ذلك فقد ظهر الكثير من الناقمين لهذا الملك الحميرى بداخل العاصمة الساسانية ذاتها، لشمول تنكيه الواسع للنصرانية، الذى لم يفرق خلاله بين مختلف مذاهبها، وامتد إلى أصحاب المذهب النسطورى، المنتشر بشكل بالغ بفارس والحيرة، والذى كان يلقى تدعياً قوياً من الدولة الفارسية على أنه من المذاهب المعادية للكنيسة البيزنطية^{١٤٨}.

هذا ولم يختلف موقف مملكة الحيرة كثيراً من تدعيم يوسف أسأر عن موقف فارس التى تسير فى فلكها؛ إذ لم يقدم ملكها المنذر الثالث حينما بلغته رسالة يوسف أسأر، سوى قدر من التعاطف المحدود، وردت تفاصيله فى رسالة شمعون الأرشيمى، الذى يذكر عن ذلك بأنه بعد أن تلا المنذر الثالث على أشرف بلاده رسالة الملك الحميرى طلب منهم هجر النصرانية، وحينما لم يجد لديهم قبولاً كف عن ذلك^{١٤٩}.

ومن أجل هذا فلم يكن أمام يوسف أسأر سوى الاعتماد على النفس فى التصدى للهجوم العسكرى الأکسومى المترقب والمدعوم بيزنطياً. وتشير النقوش المسندية المرتبطة بتلك الأحداث، بأنه من أجل هذا أسرع إلى تحصين سواحل بلاده، وبخاصة المطلة على مضيق باب المندب، الأكثر قرباً من الساحل الحبشى^{١٥٠}، بأن أقام بها سلاسل معدنية لعرقلة وصول قوارب نقل الجنود الأکسوميين من السفن الكبيرة إلى البر لكونها منطقة ضحلة على مثل هذه السفن ذات الغاطس العميق^{١٥١}. وقد تجلّى ذلك واضحاً بسائر النقوش التى تناولت هذا الصراع، ومن بينها ذلك النقش الموسوم بـ «Ry.508» خلال سطره الثامن، فيما نصه^{١٥٢}:

... 𐩧𐩢𐩪𐩠 | 𐩧𐩢𐩪𐩠 | 𐩧𐩢𐩪𐩠 ... ٨-

... ول ص ن ع ن / س س ل ت / م د ب ن ...

... ولتحصين سلسلة باب المندب ...

١٤٧. أسمهان سعيد الجرو، دراسات فى التاريخ الحضارى اليمنى القديم، ص ٢٦٣.

١٤٨. Porter, «Arabia Felix», p. 12.

١٤٩. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب فى الوثائق السريانية، ص ٨٦.

١٥٠. محمد حسين الفرح، الجديد فى تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، ص ١٠٤٠.

١٥١. عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهره فى العصور القديمة، ص ٧١٦.

١٥٢. Ryckmans, «Inscriptions sud-arabes», p. 297.

ولكن هذا لا يعنى فى حد ذاته استغناء الأksomيين عن الدعم البيزنطى، لاسيما وأنهم كانوا فى حاجة ملحة إلى السفن البيزنطية، من أجل نقل قوات حملتهم هذه إلى الساحل اليمنى، لعدم امتلاكهم لأسطول حربى، وذلك طبقاً لما أشار به بروكوبيوس الذى علل ذلك بعدم توافر المواد اللازمة لدى الأksomيين لتشييد سفن ذلك الأسطول كالحديد وغيره. فى الوقت نفسه كان لا يمكنهم، كما يذكر هذا المؤرخ، شراء تلك المواد من بيزنطة التى تحول قوانينها دون بيعها، وتعاقب بالإعدام كل من يتورط فى ذلك^{١٣٨}. وهذا من شأنه أن يرجح بأن الأksomيين قد استعانوا بالسفن البيزنطية فى نقل قواتهم الغازية للسواحل اليمنية^{١٣٩}، خاصة وأن هذه السفن كانت لا تكلف حينئذ بيزنطة الكثير، نظراً لتواجدها الدائم بالموانئ البيزنطية المنتشرة بالبحر الأحمر، كأيلة وتيران وبرنيكى. هذا فضلاً إلى أن ذلك الغزو الأksomى لليمن ونجاحه يتمشى بصفة تامة مع المصالح البيزنطية السالفة الذكر. علاوة على هذا أيضاً فإن بيزنطة كانت لا تستطيع أن تتعاس أو تخزل أكسوم فى هذا الأمر، لأن ذلك من شأنه بأن يُعرض محور العلاقات بين هذين الحليفين للجمود والفتور وربما إلى العداء، وهذا ما تخشاه بيزنطة لاسيما مع وجود تطلعات فارسية متربصة لاستغلال الأحداث. ومن أبرز المظاهر الدالة فى هذا الصدد لدعمها لهذا الغزو، اتصالاتها الحميمة بأكسوم عبر السفارات والبعثات الودية التى حدثت بينهما عقب الاحتلال الأksomى لليمن مباشرة^{١٤٠}.

وأمام ذلك التحزب الأksomى البيزنطى الذى بات يهدد يوسف أسار، سعى هذا الملك جاهداً لإيجاد حليف دولى قوى فى مواجهة تلك التحديات. فكان طبيعياً أن يلجأ إلى المعسكر الآخر المناوئ، المتمثل فى فارس والحيرة. وقد استهل ذلك بالاتصال بالمنذر الثالث ملك الحيرة، المعروف لدى الإخباريين العرب بـ«المنذر بن شقيقة»^{١٤١}، ليكون ذلك سبيلاً يؤهله لكسب التأييد الفارسى^{١٤٢}. وشجعه على هذا أن أمه، كما يذكر «ابن العبرى»، كانت يهودية من أهل الحيرة^{١٤٣}. وبالفعل قام بمراسلة ملكها المنذر الثالث، وذلك طبقاً لما ورد فى الفصل الخامس والعشرين من كتاب الحميريين الذى يشير بأن هذا الملك بعث برسالة إلى المنذر الثالث، يلتمس منه خلالها الترفق بما عنده من يهود بالحيرة ويحرضه فيها ضد نصارى بلاده^{١٤٤}، لاسيما وأن الحيرة كان يقطنها حينذاك أعداد كبيرة من النصارى^{١٤٥}. ثم توجه يوسف أسار بعد هذا برسالة أخرى مماثلة إلى الملك الفارسى قباد الأول (٤٨٨-٥٣١م)، الذى تصادف هو الآخر بأنه كان يقوم حينئذ، على إثر صراعه ضد بيزنطة، بشن حملة واسعة ضد نصارى بلاده من الملكانيين (التابعين للكنيسة الملكية البيزنطية)^{١٤٦}.

وكانت بيزنطة تنظر - بلا شك - بعين القلق والريبة إلى تلك المساعى التى يقوم بها يوسف أسار مع الحيرة وفارس، فسارعت من أجل هذا إلى مهادنة الفرس بعقد اتفاقية معهم فى فبراير عام ٥٢٤م، بمنطقة تدعى الرملة

١٣٨. Procopius, *History of the Wars*, p. 185.

١٣٩. Muller, «Survey of the History of the Arabian Peninsula», p. 129.

١٤٠. فوزى عبد الرازق بيلي مكاوى، مملكة أكسوم، ص ١١٧.

١٤١. Robin, «Les Arabes de Himyar», p. 185.

١٤٢. عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، ص ١١٨.

١٤٣. رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٥١.

١٤٤. Moberg, *The Book of the Himyarites*, p. ciii. Also: Shahid, «The Book of the Himyarites», p. 385.

١٤٥. Robin, «Les Arabes de Himyar», p. 185.

١٤٦. سهام محمد عبد العظيم، الصراع البيزنطى الفارسى فى البحر الأحمر، ص ٢٠.

المرحلة الثانية

استهلت تلك المرحلة بثورة عارمة اجتاحت العالم المسيحي، طلباً للثأر والانتقام من يهودى مجزرة نجران، تلبية لصيحات الإستغاثة والاستنجاد للانتصار للمسيحية هناك، لاسيما لدى بيزنطة وأكسوم، التى انتاب كل منهما حالة من الاستنفار لمد يد النصر، ليس لوازع دينى بقدر ما هو خدمة لمصالحهما الخاصة - التى أُشير إليها من قبل - وعلى هذا فإن أحداث نجران تعد بمثابة الضوء الأخضر الذى أنار الطريق أمام هاتين القوتين للعمل سوياً باسم الدين لتحقيق تلك المصالح^{١٣١}.

وجدير بالذكر أنه لم يعثر، حتى وقتنا الحاضر ضمن نقوش المسند، إلى ما يشير لمثل هذه الإستغاثات بتلك القوى الخارجية. غير أن هذا ظهر واضحاً بالمصادر الأخرى، وبتفاصيل تكاد تكون متشابهة؛ فتشير المصادر النصرانية بأن صيحات الإستغاثة هذه، قد وجهت إلى ملك الحبشة، وذلك طبقاً لما ورد بكتاب الحميريين، خلال فصليه التاسع والثلاثين والأربعين، عن فرار أحد مسيحي نجران ويدعى «الشريف أمية»، إلى أرض الحبشة مخبراً أسقفها المدعو «أوبروب»، وملكها كالب بمذبحة نجران^{١٣٢}. إضافة إلى هذا فإن إستغاثة شمعون الأرشيمى نفسه فى رسالته السالفة الذكر، حينما وصلته أنباء تلك المذبحة، كانت أيضاً بملك الحبشة عبر أسقف الإسكندرية، وذلك فيما نصه: «إلى الأساقفة القديسين الهاربين مع المسيح لمصر، وبواسطتهم إلى رئيس أساقفة الإسكندرية، ليكتب بدوره إلى ملك الحبشة وأساقفتها، لينجدوا الحميريين فوراً»^{١٣٣}. هذا و تتفق أيضاً المصادر الإخبارية مع ما ورد بمضمون تلك الوثائق النصرانية، فى أن الاستغاثة كانت بالحبشة، حيث تذكر بأن رجلاً نصرانياً من نجران يدعى «دوس ذو ثعلبان» هرب من تلك المحرقة إلى الحبشة، مستنجداً بالنجاشى للانتقام مما فعله الملك الحميرى^{١٣٤}.

وعامة فقد أفرزت هذه الاستغاثة النجرانية عن تحزب أكسومى بيزنطى قوى، متزرعاً بنصرة مسيحي نجران، ومتجلباً عبر الاتصالات الدبلوماسية المكثفة بين هاتين القوتين، بغرض التنسيق لعمل عسكري مشترك ضد يوسف أسار. وقد بزغت الدعوة إلى ذلك من العاصمة البيزنطية ذاتها، وإمبراطورها «چوستين الأول» (٥١٨-٥٢٧م)، الذى شهد عهده تلك الأحداث^{١٣٥}، طبقاً لما ذكره «الرحالة كوزماس» أحد شهود العيان^{١٣٦}، حينما عرض هذا الإمبراطور على الملك الأكسومى إرسال قوات بيزنطية برأى من مصر إلى الحبشة لتنضم إلى جيش الأكسوميين المعد لمهاجمة الأراضى الحميرية عبر حملتهم الثانية، غير أن هذا العرض البيزنطى لم يلق ترحيباً من الأكسوميين ذاتهم لعدم رغبتهم فى دخول قوات أجنبية إلى أراضيتهم، هذا فضلاً عن وجود قناعة تامة لديهم من خلال حملتهم السابقة ضد يوسف أسار وما حققوه من انتصارات بأن قواتهم تكفى لهزيمة هذا الملك والسيطرة على اليمن دون الحاجة إلى قوات بيزنطية مساعدة^{١٣٧}.

١٣١. رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٥٤.

١٣٢. Moberg, *The Book of the Himyarites*, p. CIII.

١٣٣. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب فى الوثائق السريانية، ص ٨٠.

١٣٤. نشوان بن سعيد الحميرى، خلاصة السيرة الجامعة، ص ١٤٨. أيضاً: الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ص ١٢٤.

١٣٥. Beeston, «Chronological Problems of the Ancient South Arabian Culture», p. 3.

١٣٦. Cosmas Indicopleustes, *The Christian Topography*, p. 55.

١٣٧. يورى ميخيلوفتش كويشانوف، الشمال الشرقى الأفريقى فى العصور الوسطى المبكرة، ص ٧٠.

في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^{١٢٧}، ورغم ذلك فهناك من لا يوافق على هذا الطرح الاخبارى - ومن بينهم الباحث - وذلك استناداً لما ورد بنفس الآيات القرآنية السابقة في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهذا من شأنه بأن يؤكد ويُجزم أن الحارق الذى أعد ذلك الأخدود، لم يكن على التوحيد وإنما كان وثنياً^{١٢٨}. وهذا التفسير نفسه يتجلى بوضوح عبر حديث نبوى طويل ورد في صحيح مسلم مرتبط بذلك الأخدود القرآنى، يشير إلى إنه يرجع إلى ملك مشرك، كان يدعو الناس إلى عبادته وتأليه. وقد تمكن غلام في مملكته - كما جاء بذلك الحديث النبوى - من أن يصرف الناس عن تأليه هذا الملك وتقديسه إلى عبادة الله الواحد القهار، فأمر هذا الملك بحفر أخدود كبير حرق فيه كل من أصر على عدم عبادته^{١٢٩}. وعلى هذا فانطلاقاً مما جاء بالآية القرآنية السالفة وذلك الحديث النبوى الشريف، فإنه يُستبعد أن يكون ذلك الحارق المشرك بهذا الأخدود هو نفسه يوسف أسأر، وذلك طبقاً لما هو مؤكد بسائر المصادر وفي مقدمتها النقوش المسندية بأنه كان يدين باليهودية التى تدعو كديانة سماوية إلى عبادة الله وحده. والأمثلة النقشية على ذلك كثيرة ومتعددة، منها على سبيل المثال تلك العبارة المسندية الواردة بمطلع النقش الموسوم بـ «Ja.1028» عبر سطره الأول، ما نصه^{١٣٠}:

١- | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

ل ي ب ر ك ن / أ ل ن / ذ ل ه و / س م ي ن / وأرض ن / م ل ك ن / ي وس ف / أس أ ر
ليبارك الاله الذى له السماء والأرض الملك يوسف أسأر

| 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

ي ث أ ر / م ل ك / ك ل / أش ع ب ن / ول ي ب ر ك ن / أ ق و ل ن /
يثأر ملك كل القبائل وليبارك الأقبال

وعامة فإن ما ارتكبه يوسف أسأر عند استرداده لنجران من وحشية مفرطة، اجتمعت عليها مختلف المصادر، جعل من بلاده مسرحاً فسيحاً لصراع دولى مرير، سقط خلاله هذا الملك، ووقعت اليمن بمقتضاه فريسة فى قبضة الأكسوميين عام ٥٢٥م، ويتجلى ذلك فيما يمكن أن يُطلق عليه هنا، بالمرحلة الثانية من هذا الصراع.

١٢٧. سورة البروج، آيات: ٤-٨.

١٢٨. رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٤٦.

١٢٩. النووى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ص ١٢٢-١٢٤. أيضاً: القرطبي، تفسير القرطبي، ص ٧٠٨٠-٧٠٨١. ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ص ٦٢٤.

١٣٠. Jamme, *Sabaeen and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia*, p. 39.

٦- | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠

و ث ت ي / م أ ت ن / أ أ ل ف م / أ ب ل م / و ب ق ر م / و ض أ ن م / و ت س ط ر و / ذ ن /
وستة مائة ألف (من) إبل وأبقار وضأن وكتب هذا

| 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩣𐩠

م س ن د ن / ق ي ل ن / ش ر ح أ ل / ذ ي ز أ ن / ك ق ر ن / ب ع ل ي / ن ج ر ن /
النقش القيل شرحيل اليزني عندما أغار على نجران

ويتضح من ذلك النقش السالف - بما لا يدعو للشك - مدى فداحة الخسائر التي منيت بها نجران وأهلها، من جراء استعادة يوسف أسأر لها، وإن كانت المصادر النصرانية قد صورت هذه الأحداث بشكل أكثر مبالغة، على أنها مجزرة مخضبة بدماء نصارى نجران، لم يعف منها الشيوخ والنساء والأطفال، وأوردت في هذا العديد من الأمثلة لتلك المآسي الدامية، لعل من أبرزها ما جاء بكتاب الحميريين، عبر فصله الواحد والعشرين، عن مقتل شريفة نجرانية تدعى «روهم بنت أزمع»^{١٢٣}، والتي وردت أيضاً قصتها بمرارة بالغة خلال رسالة شمعون الأرشمى، الذى يذكر بأنه بعد أن قتل الملك الحميرى زوجها حاول بكافة السبل، لمكانتها وشرفها بين قومها، إغراءها على اعتناق اليهودية وهجر النصرانية، وحينما أبت ذلك أمر هذا الملك بذبح ابنتها فوقها وهى مطروحة أرضاً، حتى سالت دماؤهما إلى داخل فيها، وعندما وجد بأن ذلك لم يزلها سوى تمسك بنصرانيتها، قام بحز رأسها^{١٢٤}. والأكثر من هذا فقد أمر ذلك الملك أيضاً، بنش قبور الأساقفة، كالأسقف «بولس» أول أساقفة نجران، وجمع عظامها ونقلها إلى داخل الكنيسة، التى حُرقت بمن فيها من رجال الدين المسيحى، وذلك استناداً لما ورد بالوثيقة النصرانية السالفة الذكر والمعنونة بـ «قصة أى شهادة الطوبواويين الحميريين الذين تكللوا فى نجران»^{١٢٥}.

وهكذا يتضح مما سبق وجود قدر من التوافق بين كل من المصادر النصرانية والمسندية، فيما حل بنجران من خسائر فداحة على يد يوسف أسأر، ولكنهما يختلفان وبشكل ملحوظ - كما يعتقد الباحث - فى الدوافع التى أدت إلى ذلك؛ حيث يتجلى من النقوش التى تم استعراضها، بأن ما فعله هذا الملك بتلك المدينة، لا يتعدى كونه مجرد عمل سياسى ارتبط بعمليات عسكرية حازمة تبرهن عن بالغ حرصه لتأكيد استرداده لتلك المدينة الهامة، بينما تُجزم المصادر النصرانية، السالفة الذكر، بأن الدافع الدينى المرتبط بتعصب هذا الملك الحميرى ليهوديته، كان المحرك الرئيسى لكل ما ارتكبه من فظائع. والجدير بالذكر هنا أن الإخباريين العرب هم أيضاً يتفقون فى هذا مع ذلك التوجه النصرانى، ويتجلى هذا واضحاً عبر سائر كتاباتهم، التى نسبت أحداث نجران إلى محرقة الأخدود القرآنى المرتبطة بدوافع دينية^{١٢٦}، والواردة

١٢٣. Moberg, *The Book of the Himyarites*, p. cii.

١٢٤. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب فى الوثائق السريانية، ص ٤٥-٤٦.

١٢٥. المرجع السابق، ص ٥٠.

١٢٦. الهمداني، الأكليل، ص ٢٢٦.

من استرداد المخا، بعث بقائده الشهير المدعو «شرحئيل اليزنى 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠» لاستعادة نجران^{١١٥}، وذلك استناداً لما ورد بالنقش الموسوم بـ «Ry.507»، خلال سطره التاسع، فيما نصه^{١١٦}:

٩- ... 𐩠𐩣𐩠𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

... وكه سطر / ذن / م س ن دن / قلن / شرح آل / ذى ز أن / كى رن / بأشع ب /
... وعندما دون هذا النقش القيل شرحئيل اليزنى حينما هجم مع قبائل

... | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

... / وأعربن / بعلى / نجرن / ث وى ق ه ن / ملكن / ...
... همدان والأعراب ضد نجران كما الأمر (من) الملك ...

ولكن يبدو أن هذا القائد لم يتمكن من استرداد نجران، وذلك إستناداً لما جاء بنقوش أخرى تشير إلى قيام الملك بنفسه من أجل ذلك الغرض، بالمسير إلى هذه المدينة على رأس قواته، المدعمة بالكثير من أعراب قبائل كندة ومراد ومزحج، وذلك طبقاً لما ورد بالنقش الموسوم بـ «Ry.508»، عبر السطور ٦-٨، فيما نصه^{١١٧}:

٦- ... | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

... / ملكن / ل قرن / ع لى / نجرن / بن
الملك للتحفز ضد نجران

٧- | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

... / وأعربهم و /
بحملة من (بنى) يزن وبقبائل (من) همدان وحضرهم وأعرابهم

𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

... / وأعرب / كدت / ومردم / ومذحج / وملكن / ه
وأعراب كندة ومراد ومذحج والملك

٨- | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠 | 𐩧𐩢𐩣𐩠

... / بزى / بم قرن ت / ح ب ش ت /
أزر (هم) (ضد) حامية الحبشة

١١٥ . Beaucamp et al., «La persécution des chrétiens», p. 34

١١٦ . Ryckmans, «Inscriptions sud-arabes», p. 285-286

١١٧ . Ryckmans, «Inscriptions sud-arabes», p. 296

16 | 017X0 | 4203hπ | 4612 | 52440

وهدرأ / ملكن / بأشعرن / وتجمع / كل
وهاجم الملك على الأشاعر وتجمع جميع

5- | 2X7242 | 201hh | 230 | X818 | 4612 | 397h | 024π0 | 0724H

ذرجو / وغنمو / أجي ش / ملكن / ثلاث / عشر / أأل فم / مهرجت م /
الذين قتلوا وغنموا جيوش الملك ثلاثة عشر آلاف قتيل

6 | 2hhπh | 201hh | X0hX0 | 2Xh2 | 4240

وخمس م / مأت م / وتسعت / أأل فم / سب أم /
وخمسة مائة وتسعة آلاف أسير

7- | 2X400 | 220π0 | 21πhh | 201hh | 4Xh2 | 9X80 | 94280

وثمنى / وثتى / مأت ن / أأل فم / أب لم / وبقرم / وعن زم /
وثمانى وستة مائة آلاف (من) إبل وأبقار وماعز ...

ومما لا شك فيه أنه في الوقت الذى توجه خلاله يوسف أسأر لتحرير المخا، كان يرمى بنظره تجاه نجران، وما بها من قوات أكسومية مرابضة، تلقى تأييداً واسعاً من أهلها، الذين باتوا يمثلون فى نظر هذا الملك حلفاء وعيون لأكسوم ذاتها^{١١١}. وذلك فى ظل التغلغل الكبير والواضح للمسيحية بتلك المدينة والتى تتجلى معالمها، حتى وقتنا الحاضر، شاخصة فى أشكال الصلبان المنتشرة بمخريشاتها، والكثير من الفخاريات التى ترجع لتلك الفترة الزمنية^{١١٢}. ويعود ذلك بالفضل - بلا شك - إلى جهود العديد من القسيسين والرهبان الذين كانوا يحلون حينذاك بها، وفى مقدمتهم ما ورد ذكره بالمصادر النصرانية، عن راهب يدعى «حيان»^{١١٣}، يعرف لدى الإخباريين باسم «فيمون»^{١١٤}. علاوة على ما سبق فإن استعادة نجران أيضاً، كانت على قائمة أولويات يوسف أسأر فى صراعه مع الأكسوميين، لمدى الأهمية التجارية البالغة التى تعتليها تلك المدينة بفضل موقعها المتميز والفريد على طريق التجارة الرئيسى المعروف بدرب البخور، والمشار إليه آنفاً، ومن أجل هذا فطبقاً لما تُشير إليه المصادر المسندية، بأنه بمجرد انتهاء هذا الملك الحميرى

١١١. Porter, «Arabia Felix», p. 14.

١١٢. يوريس زارينس وآخرين، «تقرير مبدئى عن مسح وتنقيب نجران / الأخدود»، ص ٣٤.

١١٣. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب فى الوثائق السريانية، ص ٧.

١١٤. الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ص ١١٩.

هذا ولم يقتصر الأمر على مهاجمة يوسف أسأر للأحباش عند استرداده للمخا، بل قام أيضاً بشن هجمات واسعة النطاق ضد القبائل اليمينية، التي تنصرت وشابعت الأحباش، وبصفة خاصة الأشاعر والركب القاطنين حول ميناء المخا^{١٠٥}، وأيضاً أهالي جزيرة «فرسان» القريبة منه، لما كانت تحويه من عدد من الكنائس طبقاً لما ذكره الهمداني^{١٠٦}، ويتجلى كل ذلك بوضوح عبر النقش الموسوم بـ«Ja.1028»، خلال السطرين الثالث والرابع، فيما نصه^{١٠٧}:

١- ... 100 | 9100 | 𐩱𐩺𐩣 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰

... وعلى / حرب / أشعرن / وركب ن / وفر
... وعلى حرب الأشاعر والركب وفرسان

٢- ... 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰

... سن / ومخون /
... والمخا

وقد تمكن هذا الملك من هزيمة تلك القبائل النصرانية بالمخا، وبالغ في التنكيل بهم وبمن والاهم من أهالي ذلك الميناء، فحرق كنيستهم وخرّب قلاعهم المعروفة بـ«حصون شمر 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰»، والسهول المحيطة بها^{١٠٨}. وقد ظهر انتقامه هذا واضحاً بقبيلة الأشاعر بوجه خاص، لما كانت تمثله من حليف قوى للأكسوميين. وتشير النقوش المسندية إلى الخسائر الفادحة، التي تحملتها تلك القبائل وأهالي المخا على حد سواء، والتي وصلت لنحو ثلاثة عشر ألف قتيل، ونحو تسعة آلاف وخمسمائة أسير، وغنائم بلغت مئتان وثمانون ألف من الإبل والأبقار والماعز^{١٠٩}، وذلك طبقاً لما ورد بالنقش الموسوم بـ«Ry.508» عبر السطور ٣-٦، وذلك فيما نصه^{١١٠}:

٣- ... 𐩱𐩺𐩣 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩱𐩺𐩣

... / وحرب / مخون / وهرج /
... وحارب المخا وقتل

٤- 16 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 16 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰 | 𐩺𐩻𐩾𐩰

كل / حوره و / ودهر / قل سن / وحرب / كل / م صن ع / ش م ر / وس هل ه و /
جميع سكانها وحرقت الكنيسة وحارب جميع حصون شمر وسهله

١٠٥. محمد عبد القادر بافقيه، في العربية السعيدة، ص ٩٨.

١٠٦. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٩٦.

١٠٧. Jamme, *Sabaeen and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia*, p. 39-40.

١٠٨. Muller, «Survey of the History of the Arabian Peninsula», p. 129.

١٠٩. Beaucamp et al., «La persécution des chrétiens», p. 34, also:

جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٥٩٦.

١١٠. Ryckmans, «Inscriptions sud-arabes», p. 296-297.

لم تكن على قدر من القوة. وقد بررت المصادر النصرانية ذلك الضعف، بأن الحاكم الأكسومي الذي عُين على اليمن، قد مات قبيل هجوم يوسف أسار، في الوقت الذي حالت فيه الظروف المناخية أثناء هذا الهجوم دون إرسال النجاشي لإمدادات عسكرية لقواته المرابضة هناك، حيث جاء ذلك متوافقاً مع فصل الشتاء الذي كانت تتوقف في أثناءه حركة الملاحة فوق المياه الجنوبية للبحر الأحمر، والتي لا تنشط إلا مع هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية بفصل الصيف^{٩٠}. وهذا كله يتجلى بإحدى الوثائق النصرانية المعاصرة لتلك الأحداث، وهي عبارة عن مخطوطة سريانية تعرف بـ «رسالة شمعون الأرشيمي»^{٩١}، ورد بها ما نصه: «... إن الملك الذي نصبه الأحباش بالبلاد قد مات، وأدرك الشتاء، ولم يستطع الأحباش أن يخرجوا إلى البلاد (يقصد اليمن)»^{٩٢}.

علاوة على هذا فهناك عامل آخر أيضاً، ساهم بقدر بالغ في صرف أكسوم عن إرسال نجدات عسكرية لمعاونة قواتها باليمن في صد هجوم يوسف أسار، يرتبط بما كان يجتاح المملكة الأكسومية حينذاك من اضطرابات داخلية وحروب أهلية دامية، من جراء تمرد القبائل الحبشية المعروفة بـ «أجوزت» و«خاست»، وذلك طبقاً لما عثر عليه بمدينة أكسوم الحبشية، من نقش جعزي يعود للملك «كالب»، يشير من خلاله إلى جهود مضية بذلها لإخضاع هاتين القبيلتين^{٩٣}، وإنه أخذ بعد التفرغ من ذلك يخطط أيضاً لقتال الحميريين. وعامة فقد وجد يوسف أسار من تدهور أحوال القوات الأكسومية باليمن فرصة سانحة لشن هجوم خاطف وسريع لاسترداد المدن التي استولوا عليها خلال حملتهم السابقة، وهي ظفار والمخا ونجران، وكان طبيعياً أن يستهمل ذلك بعاصمته المسلوقة مدينة ظفار، التي تمكن من استردادها وحرق كنيستها، بعد أن قتل ما بها من الأكسوميين^{٩٤}، ويؤكد ذلك ما ورد عبر النقش الموسوم بـ «Ja.1028» بسطره الثالث، فيما نصه^{٩٥}:

٣- | 𐩠𐩢𐩣𐩠 | 𐩠𐩢𐩣𐩠

مراهم و / ملكن / يسف / أسأر / يثأر / كدهر / قل سن / وهرج /
سيدهم الملك يوسف أسار يثار حينما أحرق الكنيسة وقتل

... | 𐩠𐩢𐩣𐩠 | 𐩠𐩢𐩣𐩠

أح بشن / ب ظ فر / ...

الأحباش بظفار ...

٩٠. يوري ميخايلوفتش كويشانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسطى المبكرة، ص ٣١.
٩١. هي عبارة عن رسالة أنفذها من حيرة النعمان عام ٥٢٤م، شمعون الأرشيمي أسقف بيت أرشيم بفارس إلى شمعون السرياني، أسقف دير الجبول بسوريا الشمالية، يطلعه بها وصل لمسامعه عن فظائع يهودية اضطهادات الملك الحميري لنصارى بلاده، ليرسل هذه الإستغاثة إلى أسقف الإسكندرية، ليكتب بدوره إلى ملك الحبشة لإنقاذهم والانتقام لهم: أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب في الوثائق السريانية، ص ٧٩-٨٠؛ أحمد الدبش، كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب، ص ٢٦٤.
٩٢. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب في الوثائق السريانية، ص ٤٣.

٩٣. Drewes, «Kaleb and Himyar», p. 27-28, also:

يوري ميخايلوفتش كويشانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسطى المبكرة، ص ٦٢-٦٦.

٩٤. Robin, «Himyar et Israël», p. 833, Muller, «Survey of the History of the Arabian Peninsula», p. 129

٩٥. Jamme, *Sabaeen and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia*, p. 39

| XOYΨ1 | ƳHΠ | ʒħħħ | HOFΘ | 1ΨKƳ | 1ħΠΨʒʒ | ΘΨYƳHΠ

بنى هم و / شرح ب آل / يكمل / وهن أسار / بنى / لحييت
أبنائهم شرحبيل وهن أسار ولدى لحييت

| 1ħΨʒʒ | HΠ | HΓΨƳ | H1ħHδʒʒΘ | OƳƳH | HΠ | ΨYƳƳ | XOYΨ1Θ - ١٠

ولحييت / يرخم / بن / سمى فع / ومرث دألن / يمجد / بن / شرح آل /
ولحييت يرخم بن سميف ومرثألن يمجد بن شرحبيل

| ƳƳ1ƳΘ | XƳ1Ƴ | 1H | HħʒHΨH | ΘYƳʒΘ | HħXƳ | XY1ħ

أل هت / يزأن / ورخه و / ذم ذرأن / ذل / ثلاثت / وثلاثى /
هؤلاء (من) يزن وتاريخه مذرأن^{٨٩} (عام) ثلاثة وثلاثين

| H | Hħħħ | HΨħħΘ | HƳHχΘ | HƳΨH | XʒOYKΠKΘ | ΨXħΨ | ƳHΘ - ١١

وسث / ماتم / وكب خفرت / سمى ن / وتدى ن / وأذن / أسدن / ذن /
وستة مائة وبحماية السماء وولاء وقوة الجنود الذين

Π | HƳ1O | HHΨʒʒΘ | HOFYΨΘ | ΨHħY | 1K | HΠ | HħHħΨ

مسن دن / بن / كل / خسس م / ومخدع ن / ورح من ن / على ن / ب
(مدونين فى) النقش من كل مؤذى ومخرب والرحمن العلى من

... | HOFYΨΘ | 1K | H - ١٢

ن / كل / مخدع م / ...

كل مخرب

بجانب ما سبق فمن المواطن الأخرى أيضاً البالغة الأهمية، التى وردت بالنقوش المسندية ودعمتها كذلك المصادر النصرانية، ما يتعلق بطبيعة الحرب التحريرية التى قادها يوسف أسار ضد الأكسوميين المحتملين، من أنها لم تُحسم بمعركة فاصلة بين الطرفين، بقدر ما اعتمدت على ما يعرف بحرب المدن، ولعل ذلك راجع إلى أن الأكسوميين قد اتخذوا، طوال تلك المواجهة، موقف المدافع المتحصن خلف أسوار المدن، التى استولوا عليها خلال حملتهم السابقة، المتمثلة فى ظفار ونجران والمخا، وهذا من شأنه أن يوضح بأن القوات الأكسومية الموجودة حينذاك هناك

٨٩. يعادل شهر «مذرأن مذران» الحميرى شهر يوليو Robin, «Le calendrier himyarite», p. 44:

ومما لاشك فيه بأنه من الصعب علينا - كما يرى الباحث - الأخذ بمثل تلك المزاعم الإخبارية، لما تحمله من غرابة شديدة، إذ لا تختلف في مضمونها فقط مع ما ورد بالمصادر النصرانية السالفة الذكر، بل تتعارض كذلك وبصفة تامة مع ما جاء أيضاً بالنقوش المسندية من مجريات مرتبطة بهذا الشأن، والتي رغم إقتصار أحداثها على حرب التحرير، التي خاضها يوسف أسار - كما يتضح فيما بعد - ضد الغزاة الأوسوميين، إلا أنها تنفي وبشكل قاطع مزاعم تلك الرواية الإخبارية، من نجاح هذا الملك في التصدي لتلك الحملة، إذ إنه يتبين من خلال دراسة تلك النقوش وبجلاء تام، بأن هذا الملك قد فشل بالفعل في مقاومة حملة الأوسوميين هذه، وفقد على أثر هزيمته عاصمته ظفار ومدينتي نجران والمخا، ولعل ذلك من المواطن الهامة التي تتفق خلالها كل من المصادر المسندية والنصرانية.

وعامة فكما يبدو واضحاً مما سبق بأن الحملة الأوسومية الأولى، قد أحرزت في بداية أمرها نجاحاً ملحوظاً، يتجلى في سيطرتها على أبرز المدن الحميرية، إلا أن هذا النجاح كان ينقصه التخلص من يوسف أسار، الذي كان يمثل حينذاك الخطر الحقيقي على التواجد الأوسومي باليمن، خاصة وإنه قد أخذ بعد فراره مباشرة يعد العدة للدخول في جولة أخرى ضد الأوسوميين المحتلين، فأرسل من أجل ذلك يستنفر أنصاره من كافة النواحي، ونجح بالفعل في استرجاع الكثير من قواه العسكرية^{٨٦} وفي هذا أيضاً ثمة لتوافق آخرين كل من المصادر المسندية والنصرانية، من أن هذا الملك قد تمكن - بما لا يدعو للشك - من استعادة عرشه مرة أخرى، وطرده الأوسوميين نهائياً من بلاده، وقد حددت النقوش المسندية عملياته العسكرية خلال حرب التحرير هذه، بالعام الحميري ٦٣٣ المتوافق مع عام ٥١٨ ميلادياً^{٨٧}، وإن هذه العمليات استغرقت نحو ثلاثة عشر شهراً، وذلك طبقاً لما ورد بالنقش الموسوم بـ «Ja.1028» الذي يحدد الفترة التي قضاه جنود وقادة هذا الملك، المدون أسماؤهم في قتالهم للأوسوميين بهذه المدة المذكورة، ويتجلى ذلك واضحاً عبر الأسطر ٨-١٢، فيما نصه^{٨٨}:

٨- ... 1660 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢

... وككل / ذكرو / بذن / م س ن دن / م ه ر ج ت م / وغ ن م م / وم قرن ت م /
... وكل الذين ذكروا بهذا النقش (المشاركين في) القتل والغنائم والحماية

𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢

فك س ب أت م / أو

(لكن بخصوص) الحملة (بلغت) نهايتها

٩- 𐩦𐩣𐩥𐩢 | 𐩦𐩣𐩥𐩢

ده / ذق فل و / أب ت ه م و / ب ث ل ث ث / ع ش ر / أ ور خ م / ول ي ب ر كن / رح م ن ن /
عندما عادوا (إلى) بيوتهم (بعد) ثلاثة عشر شهراً ولمباركة (من) الرحمن

٨٦. يوري ميخايلوفتش كويشانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسطى المبكرة، ص ٣٩.

٨٧. Muller, «Survey of the History of the Arabian Peninsula», p. 129

٨٨. Jamme, *Sabaean and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia*, p. 39-40

من ٣٦ فصلاً^{٧٦}، والذي يعتبر في حد ذاته مخطوطة وضعها بالسريانية قسيس مجهول حوالى عام ٥٣٥م^{٧٧}، قام بترجمتها عبر هذا الكتاب المذكور، مستشرق سويدي يدعى Axel Moberg عام ١٩٢٤م. وهناك من الباحثين من يعتقد بأن الكاتب الحقيقي لهذه المخطوطة هو الأسقف «شمعون الأرشمي»، صاحب أشهر رسالة استغاثة كنسية، لنصرة المسيحية من يهودية يوسف أسار^{٧٨}، المعروف بسائر الوثائق النصرانية باسم «مسروق»^{٧٩}.

هذا ويلاحظ من خلال تحليل ما ورد بشأن تلك الحملة في كتاب الحميريين السالف الذكر، إنه يماثل غيره من المصادر النصرانية في حصره لدوافعها على العامل الديني، والتجاهل التام للأسباب الحقيقية السابق استعراضها، حيث جاء بفصله الرابع بأن قيام هذه الحملة، كان لمجرد استغاثة من أسقف نجران المدعو «توما» بملك الحبشة^{٨٠} للانتقام من إضطهادات يهودية الملك الحميري للمسيحية، والتي من أجل نصرتها بادر الملك الحبشي، بإرسال قائد يدعى «حيون» على رأس جيش له إلى هناك^{٨١}. ولكن من المؤسف بأنه لم يصلنا معلومات عن كيفية بلوغ هذا الجيش أرض اليمن، لوجود تلف كبير بالوثيقة الأصلية، جعلها تمتد في هذا الكتاب إلى فصله الخامس المشتمل لذلك الحدث، والذي لم يتبق منه سوى عنوانه المتمثل في «قدوم حيون والكوشيين في المرة الأولى»^{٨٢}. ولكن من المؤكد بأن هذه الحملة قد نجحت بصفة عامة في هزيمة يوسف أسار، وذلك طبقاً لما ورد بوثيقة نصرانية أخرى، عُثر عليها بخزينة بطيركية أنطاكية، قام بدراستها البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث، وهي عبارة عن رسالة بالسريانية بعنوان «قصة أي شهادة الطوباويين الحميريين الذين تكللوا في مدينة نجران»، ولم يرد بها اسم الراسل ولا المرسل إليه^{٨٣}، ولكنها تشير بأن هذا الملك الحميري قد وقع بالفعل أسيراً، في أيدي جنود تلك الحملة، الذين هموا بقتله ولكن أنقذه تدخل تاجر نسطوري من الحيرة يدعى «جحشون»، كان موجوداً باليمن حينذاك، حيث ورد بتلك الوثيقة بأنه أخذ يُقسم لهؤلاء الجنود الأحباش، بأن أسيرهم على المسيحية، فتراجعوا عن قتله وحبسوه، غير إنه تمكن من الهروب إلى الجبال^{٨٤}.

والجدير بالذكر أن هذه الأحداث التي وردت بالمصادر النصرانية السابقة، تختلف بصفة تامة مع ما جاء بالروايات الإخبارية، وخاصة فيما يتعلق بطبيعة مقاومة هذه الحملة من يوسف أسار، المعروف باسم «ذونواس» لدى الإخباريين، الذين يذكرون عن ذلك بأنه حينما فوجئ هذا الملك بوصول تلك الحملة المكونة من ثلاثين ألف مقاتل من الأحباش، ولم يكن مستعد لمجابهتهم، اضطر إلى التحايل عليهم متظاهراً بإعلان الطاعة والولاء، بأن قدم إلى قائد هذه الحملة مفاتيح خزائن بلاده فوق ظهور الإبل، فكتب هذا القائد إلى النجاشي، الذي رحب بالصلح مع الملك الحميري، والذي سرعان ما غدر بهم وقتل معظمهم، حينما تفرقوا بمختلف أنحاء اليمن لجمع الأموال التي وعدهم إياها^{٨٥}.

٧٦. Beaucamp et al., «La persécution des chrétiens », p. 23.

٧٧. عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهره في العصور القديمة، ص ٧٠٨.

٧٨. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب في الوثائق السريانية، ص ١٠١.

٧٩. Sahid, «The Book of the Himyarites», p. 361.

٨٠. Moberg, *The Book of the Himyarites*, p. L.

٨١. Moberg, *The Book of the Himyarites*, p. L XIX.

٨٢. يورى ميخايلوفتش كويشانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسطى المبكرة، ص ٣٦.

٨٣. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريين العرب في الوثائق السريانية، ص ٤٨.

٨٤. المرجع السابق، ص ٥٥.

٨٥. نشوان بن سعيد الحميري، خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة، ص ١٤٨. وأيضاً: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص ١٢٧.

٧- | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣

ت ن / وح ضرر مت / وى ح ن / وبع م / أع رب ه م / كدت / وم ذ
وحضرموت ويحن وبرفقة أعرابهم (من) كندة

٨- | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣

ح ج م / وبع م / بنى / ثعلبت / وم ذر / وس بع ٧٤ /
ومذحج وبرفقة بنى ثعلبة (ضده) والمنذر (والذى) إستسلم

٩- | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣 | 𐩧𐩢𐩣

ب ورخ ن / ذقى ظن / ذل أح دو ث ل ثى وس ث / م أت م
بالشهر ذقيظن ٧٥ (من سنة) إحدى وثلاثين وستة مائة

وهكذا يتضح مما سبق ما كانت عليه حمير من قوة وبأس، في الداخل والخارج قبيل اعتلاء يوسف أسار لحكمها، وأنه لولا ضعف هذا الملك لتكرر فشل الأكسوميين، رغم الدعم البيزنطى، في النيل من اليمن أو حتى التدخل فى شؤونها، ولكنهم استغلوا أوضاعها المتردية فى ظل تلك القيادة الضعيفة، لتحقيق حلمهم القديم فى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية. وبصفة عامة فقد تصافرت الدوافع الثلاثة السابقة فى بؤرة واحدة، لجعل السيطرة على بلاد اليمن تعلى قائمة أولويات مملكة الأكسوميين، الذين خاضوا من أجل هذا صراع مريع ضد ملكها يوسف أسار، متخذين من نصرة المسيحية والانتقام لها من يهوديته ستاراً لهم، وقد شهد هذا الصراع أحداثاً دامية، انتهت بسقوط هذا الملك عام ٥٢٥ م واحتلالهم لبلاد. ويمكن فى هذا الصدد تقسيم ذلك الصراع وأحداثه إلى مرحلتين متتابعيتين:

المرحلة الأولى

شهدت هذه المرحلة أحداثاً عديدة وذات أهمية بالغة فى الصراع الحميرى الأكسومى، استهلّت بحملة الأكسوميين الأولى على اليمن، وسيطرتها على أبرز المدن الحميرية، كنجران والمخا والعاصمة ظفار وذلك بعد فرار يوسف أسار واعتصامه بالجبال، ومن الغريب أنه - حتى وقتنا الحاضر - لم يعثر بالنقوش المسندية لما يشير صراحة إلى هذه الأحداث السالفة. ومما لاشك فيه أن ذلك يعزو إلى قلة التنقيبات الأثرية هناك، لاسيما وأن هذه الحملة قد وردت بتفاصيلها عبر مصادر أخرى، فى مقدمتها الوثائق النصرانية، وخاصة فيما يعرف بـ «كتاب الحميريين»، المكون

٧٤. يعتقد الباحث بأن كاتب النقش لم يكن يقصد بفعل «سبع 𐩧𐩢𐩣»، الذى يحمل معنى «استسلم»، أن المنذر قد وقع بالأسر، ولكنه يعنى استسلامه للهزيمة، لأنه لو حدث وأن استسلم هذا الملك كأسير لأستخدم كاتب النقش فعل «𐩧𐩢𐩣» أى «أسر».

٧٥. ذقيظن «𐩧𐩢𐩣» شهراً حميرى يعادل يونية: Robin, «Le calendrier himyarite», p. 44.

تقدم على رأس جيوشه غازياً الأراضي النجدية^{٧٢}، وفرض هناك نفوذه بالقوة، وأجبر ملك الحيرة المنذر الثالث (٥١٢-٥٥٤م)، على التخلي عن مطامعه بتلك المنطقة، بعد أن لقنه هزيمة بمعركة دارت رحاها عند موضع هناك يعرف بـ «سهل كتأ» $\text{هـ خ هـ} | \text{هـ ل هـ}$ ، وقد ورد ذلك عبر النقش السالف الذكر، فيما نصه^{٧٣}:

١- $\text{هـ ل هـ} | \text{هـ خ هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ}$

مع دكرب / ع فر / ملك / سبأ / وذرى دن / وحض
معد كرب يعفر ملك سبأ وذى ريدان وحض

٢- $\text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ}$

رمت / ويمنت / وأعرب هم و / طو دم / وت هم ت /
رموت ويمنت وأعربهم طوداً وتهمت

٣- $\text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ}$

ه ورو / ووتف / ذن / مس ن دن / ب م أس لم / ج ح ن /
أعلنوا ودون(وا) هذا النقش بمأسل الجمع

٤- $\text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ}$

ع لى / مهن سبأت م / بعرق / كتأ / لهم / ذن
عن شن حملة بسهل كتأ لأجلهم الذى

٥- $\text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ}$

دى نه مو / عربن / ق س دم / وحرب هم و / م ذ
استنصروهم (من) الأعراب غير المسلحة ومقاتليهم للمنذر

٦- $\text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ} | \text{هـ ل هـ}$

رم / وسبأ و / بأشع به م و / سبأ / وح م ي رم / ورحب
وغزوا بقبائلهم سبأ وحمير والأرحيين

٧٢. Robin, «Les Arabes de Himyar», p. 173.

٧٣. Robin, «Le Royaume hujride», p. 686; Ryckmans, «Inscriptions sud-arabes», p. 305-308; also:

عبد الرحمن الطيب الأنصارى وآخرون، مأسل، ص ٣٥.

الفرس كانوا يفرضون كامل سطوتهم على الطريق التجارى البرى المار بأراضيهم، المعروف بـ «طريق الحرير»^{٥٦}، والذي كانت تسلكه القوافل المحملة بتلك السلعة، من بلاد الصين عبر أواسط آسيا في إتجاهين أساسيين، أحدهما نحو پاليمرا (تدمر بسوريا)^{٥٧}، والآخر يتجه نحو بحر قزوين ثم إلى القرم^{٥٨}، لتحتكر بهذا فارس تجارته البرية مثلما احتكرت البحرية، ولتصبح بذلك تلك السلعة بمثابة غصة في حلق العاصمة البيزنطية، التي لم يعد أمامها سوى تدعيم نفوذها ببلاد اليمن، لما باتت تمثله هذه المنطقة حينذاك من منفذ أوحده لاستجلاب الحرير القادم إلى موانئها من الصين والهند، ولعل هذا يفسر سبب العثور على الكثير من العملات الرومانية، قرب الموانئ اليمنية بصفة خاصة، كالتي عثر عليها بكميات كبيرة في منطقة تعرف بـ المضاربة، على بعد ٦٠ كم شمال غربى عدن، ترجع في تاريخها لعهود عديدة، كان أقدمها يعود إلى عصر الإمبراطور قسطنطين الثاني^{٥٩}.

لكن سرعان ما تبددت تلك الآمال البيزنطية في الحصول على ذلك الحرير القادم للموانئ اليمنية، مع وصول يوسف أسأر الحميرى لسدة الحكم، وتقاربه السياسى مع مملكة الحيرة التي تدور بالفلك الفارسى، وقيامه كما يذكر المؤرخ البيزنطى ثيوفانىس بقتل التجار البيزنطيين الموجودين في بلاده ومصادرة بضائعهم^{٦٠}، ولذا فلم يكن أمام بيزنطة من سبيل سوى تشجيع حلفائها الأوسوميين على غزو اليمن. ويُدعم ذلك ويؤكد ما أورده كل من بروكوبيوس وثيوفانىس، بأنه عقب نجاح أكسوم في التخلص من يوسف أسأر والسيطرة على بلاده، قام الإمبراطور البيزنطى چستينيان (٥٢٧-٥٦٥م) بإرسال بعثة يرأسها شخص يدعى «چوليان»، ومعه مبعوث آخر باسم «نونوسوس»^{٦١}، ويرجع بأنها كانت عام ٥٣١ م^{٦٢}، إلى كل من الملك الأوسومى، الذى أطلق عليه بروكوبيوس اسم «Hellestheaus»، وحاكم اليمن الجديد الذى ولاه الأوسوميون، والمعروف بكتابات بروكوبيوس باسم «Esimiphaeus»، يطلب منهما بحق أخوة الدين أمور على رأسها جلب الحرير من الهند وإرساله إلى بيزنطة^{٦٣}.

وبجانب تلك المصالح الاقتصادية السالفة، التي دفعت العاصمة البيزنطية لتشجيع أكسوم إلى غزو اليمن عام ٥٢٥م، فإن بيزنطة كانت تعتبر أيضاً الاحتلال العسكرى الأوسومى في حد ذاته لليمن بمثابة مكسباً سياسياً هاماً، تكمن قيمته في إيجاد حليف قوى لها بتلك المنطقة، يعاونها في حروبها الضروس ضد الفرس، وإيقاف توغلهم المرتقب والمقلق لبيزنطة بجزيرة العرب^{٦٤}، في ظل التواجد المكثف حينذاك لقواتهم بسواحل الخليج العربى^{٦٥}. ولعل ما يؤكد نوايا بيزنطة هذه، ما جاء في المصادر البيزنطية، عن بعثة چوليان - المذكورة آنفاً - من أنها قد أخذت

٥٦. Huzayyin, *Arabia and the Far East*, p. 85.

٥٧. Shmitthener, «Rome and India», p. 105.

٥٨. رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٥٨.

٥٩. أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضارى اليمنى القديم، ص ١٠٧.

٦٠. Theophanes, *The Chronicle of Theophanes Confessor*, p. 323.

٦١. Robin, «Le Royaume hujride», p. 672.

٦٢. Robin, «L'Arabie à la veille de l'islam», p. 222.

٦٣. Procopius, *History of the Wars*, p. 195; also: Theophanes, *The Chronicle of Theophanes Confessor*, p. 361-362,

Beaucamp et al., «La persécution des chrétiens», p. 33.

٦٤. لطفى عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، ص ٤٣٩.

٦٥. جرجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٤٩.

الرومان، حينما بعث بحملته الفاشلة إلى اليمن عام ٢٤ ق.م، بقيادة واليه على مصر آنذاك إيلوس جاليوس^{٤٦}، من أجل السيطرة على مناطق إنتاجه، وذلك طبقاً لما ذكره الكتاب الكلاسيك^{٤٧}، هذا بالإضافة أيضاً إلى الحرير، ذلك المنتج الصينى الأصل، الذى كان يجلبه التجار اليمنيون من منافذ بيعه بالموانئ الهندية، عبر رحلاتهم التجارية المتواصلة إلى هناك^{٤٨}، وقد نالت تلك السلعة الأخيرة نصيب الأسد من اهتمامات وشغف البيزنطيين كضرورة حياة، لا تقتصر قيمتها على كونها أبرز مظاهر الترف لدى عليّة القوم بالمجتمع البيزنطى، وخاصة رجال القصر الإمبراطورى^{٤٩}، بل تعدى ذلك إلى أهمية إستراتيجية أقصى، كان يمثلها الحرير حينذاك بالنسبة للعاصمة البيزنطية، التى كانت كثيراً ما تستخدمه كوسيلة لتدعيم أو اصل الصداقة مع قبائل الجرمان الأقوياء، الذين باتوا يهددون بقوة سلامة الإمبراطورية ذاتها، ومن أجل هذا فكثيراً ما كانت تقوم ببيزنطة بإهداء زعماء تلك القبائل، كميات كبيرة من الأقمشة الحريرية لكسب ودهم، هذا فضلاً عن شحنات حريرية أخرى، ترسلها إلى كنائس الغرب طمعاً فى تأييدها^{٥٠}.

ومما زاد من حاجة البيزنطيين واستفحالها إلى الحرير الذى بحوزة التجار اليمنيين، فشلهم الذريع فى إحضاره من مناطق إنتاجه بالصين، أو حتى من منافذ بيعه التى كان يرسل إليها بالسواحل والموانئ الهندية، رغم المحاولات الجادة والمضنية التى بذلواها فى هذا الشأن، والتى يؤكد حدوثها تلك الأعداد الضخمة من نقودهم التى عثر عليها بالهند^{٥١}. ويعزو هذا الفشل البيزنطى إلى الجهود الكبيرة والموقفة التى بذلها أعداؤهم الفرس فى احتكارهم لتجارته بتلك المنافذ الهندية، لقرب بلادهم - كما يذكر بروكوبيوس - من هذه المناطق^{٥٢}، أو ربما للنجاح الباهر الذى حققته هناك الدبلوماسية الفارسية، وكذلك مع بلاد الصين نفسها أيضاً، عبر العديد من البعثات المتبادلة، التى يرجع تاريخها إلى فترات قديمة تعود للعصر الپراثى، لعل أفدهما تلك البعثة الصينية التى وفدت لفرس، على عهد الملك مهرداد الثانى (١٢٠-٨٨ ق.م) ملك پراثيا^{٥٣}، وقد تطورت تلك العلاقات وإزدهرت خلال العصر الساسانى، لاسيما بزم الملك أنوشروان (٥٣١-٥٧٩ م)، الذى كان يتردد على بلاطه الكثير من المبعوثين الصينيين^{٥٤}، بل الأكثر من كل هذا فقد نجح الفرس أيضاً وببراعة فائقة، فى استخدام التبشير بالمسيحية هناك رغم مجوسيتهم، من أجل تدعيم نفوذهم التجارى بتلك المناطق، حيث تمكنوا من تأسيس كنيسة كبرى على المذهب النسطورى - المذهب المعادى للكنيسة البيزنطية - بجزيرة سيلان، التى تعد حينذاك أكبر وأهم مراكز تجارة الحرير بتلك المنطقة، والتى كان يتردد عليها أيضاً مبعوثون من الملوك الساسان ذاتهم^{٥٥}، علاوة عما سبق فمن المؤلم أيضاً لبيزنطة فى هذا الشأن، أن

٤٦. لطفى عبد الوهاب مجيى، العرب فى العصور القديمة، ص ٤٢٦.

٤٧. Strabo, *The Geography of Strabo VII*, p. 353, Pliny, *Natural History*, p. 459.

٤٨. أسمهان سعيد الجرو، دراسات فى التاريخ الحضارى اليمنى القديم، ص ٨١.

٤٩. ف.هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ص ١٣.

٥٠. المرجع السابق، ص ٣٢.

٥١. Keswani, «Indian Cultural and Commercial Influences in the Indian Ocean», p. 35.

٥٢. Procopius, *History of the Wars*, p. 195.

٥٣. حسن بيرينا، تاريخ إيران القديم، ص ٢١٦.

٥٤. المرجع السابق، ص ٢١٦.

٥٥. ف. هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ص ٢١.

وهكذا فإنه يتجلى واضحاً مما سبق بأن مطامع الأكسوميين التاريخية باليمن، سواء السياسية أو الاقتصادية، تعد بمثابة الدافع الأكبر لما راودهم من حلم السيطرة عليها، ومن أجل هذا فإن مجابتهم الأخيرة للملك الحميري يوسف أسأر، وغزوهم لبلادهم عام ٥٢٥م، لم يرتبط من قريب أو بعيد بنصرة المسيحية والانتقام لها من يهودية هذا الملك، كما تزعم كل من المصادر الكنسية والإخبارية، ولعل أصدق دليل على استبعاد هذا الدافع الديني، أن محاولات أكسوم الاستعمارية لليمن تعود إلى عصر الوثنية ذاتها، رغم التماثل الديني الشديد الذي كان يجمع حينذاك بين هاتين الدولتين؛ فإنه القمر كان هو المعبود الرئيسي لكل من الأكسوميين واليمنيين على السواء، ذلك فضلاً عن أن عبادتهما للشمس كانت هي الأخرى أيضاً تحت مسمى مشترك هو «ذات حميم»، والزهرة كذلك كانت باسم «عثر»، وهذا كله لم يحل دون التهديدات الأكسومية المتعددة للسيطرة على اليمن، ويتجلى ذلك عبر - ما أشير إليه - من النقوش التي تعود لملكي سبأ وذريدان شعراًوتر، وإيل شرح يحضب^{٤٣}، بل الأكثر من هذا فقد ظلت تلك التهديدات الأكسومية قائمة وموجودة بقوة، حتى بالفترات التي ازدهرت خلالها المسيحية أيضاً بكلا المنطقتين، ويستدل على ذلك من خلال ما شهده عهد الملك الحميري «شرحيل ايل يكف | 𐩦𐩣𐩪𐩥 | 𐩧𐩢𐩪𐩥» (٤٦٠-٤٧٠م)، من تزايد بالغ للتهديد الأكسومي، رغم ما يزعم عن اعتناقه للمسيحية، الوارد بإحدى عباراته النقشية التالية^{٤٤}:

𐩦𐩣𐩪𐩥 | 𐩧𐩢𐩪𐩥 | 𐩦𐩣𐩪𐩥 | 𐩦𐩣𐩪𐩥

رحم ن ن / وب ن هو / كرش ت ش / غ ل ب ن

الرحمن وابنه المسيح الغالب

ثانياً: المصالح البيزنطية ودورها في تشجيع الغزو الأكسومي لليمن

استغلت بيزنطة الارتباط العقائدي بمملكة أكسوم المسيحية، كقوة صديقة باسم الدين في خدمة مصالحها ببلاد اليمن، والتي باتت مهددة إبان حكم يوسف أسأر، للجوئه السافر إلى أعدائها الفرس والمناذرة، وقد رحبت أكسوم من جانبها بذلك التقارب البيزنطي وجذته، حتى بدت تمثل عبر تلك الفترة الزمنية من ربيع القرن السادس الميلادي، الحليف الأوفى لبيزنطة بهذه المنطقة الحيوية من جزيرة العرب، في ظل قدر بالغ من التوافق الكبير هناك بين مصالح هاتين القوتين، والتي أثمرت عن ذلك التشجيع البيزنطي القوي، للغزو الأكسومي لليمن عام ٥٢٥م، وتدعيمه في التخلص من هذا الملك الحميري^{٤٥}.

وتأتى المصالح الاقتصادية للعاصمة البيزنطية على قائمة الأولويات المسؤولة عن سياستها العدائية تجاه يوسف أسأر، وتشجيع الأكسوميين في حروبهم ضده، وتكمن تلك المصالح في حاجة بيزنطة الملحة للاستحواذ على السلع التجارية اليمنية، ومن أبرزها البخور الذي يعد في حد ذاته مطلباً رومانياً قديماً، يرجع إلى عصر أغسطس أول أباطرة

٤٣. عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهره في العصور القديمة، ص ٧٠٩-٧١٠.

٤٤. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٥٨٥.

٤٥. سهام محمد عبد العظيم، مرجع سابق، ص ١٠.

ملكة سبأ، التي يدعى الأكسوميون بأنها حبشية باسم «ماكيذا»^{٢١}، علاوة على هذا فإن أرض الحبشة قد سكنها خلال العصر الأكسومي ذاته القبائل المعروفة حالياً بـ«الفلاشا»، وهي تسمية حبشية تعنى المهاجرين أو الأعراب^{٢٢}، وإن ذلك بالطبع قد صاحبه انتشار الكثير من العادات اليهودية بالحياة الأكسومية، كالختان والخفاض للبنات بسن مبكر، وتقديس السبت والترانيم المقدسة للرقصات الطقسية اليهودية^{٢٣}.

وانطلاقاً مما سبق فإنه يتجلى وبوضوح بالغ، وجود دوافع أخرى حقيقية تفوق الوازع الديني فاعلية وتأثيراً، في إشعال الصراع الأكسومي المدعوم بيزنطياً ضد الملك الحميري يوسف أسار، والذي أدى في النهاية إلى وقوع اليمن في قبضة الأكسوميين عام ٥٢٥ م. وتنحصر تلك الدوافع في الآتي:

أولاً: المطامع الأكسومية باليمن

أدت طموحات أكسوم ومطامعها التاريخية في بلاد اليمن، إلى إضفاء الطابع العدائي على علاقاتها مع يوسف أسار، متذرة حينذاك بحمايتها للنصرانية من اضطهاداته، وتعد المطامع السياسية في هذا الصدد من أبرز تلك الطموحات الأكسومية، التي تهدف في المقام الأول للسيطرة على تلك المنطقة الحيوية، ذات الموقع الاستراتيجي المتميز، الذي من شأنه أن يؤهل أكسوم للإنفراد والهيمنة على مضيق باب المندب، المتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، ذلك الممر البحري المتميز الذي يربط عالم البحر المتوسط بالشرق الأفريقي وجنوب شرقي آسيا^{٢٤}، لاسيما وأنه من السهل في تلك الأونة التحكم الملاحي في هذا المضيق، لقلة اتساعه التي لا تتعدى عشرين ميلاً، فضلاً عن اعتراض تلك المسافة المحدودة بجزيرة ميون (بريم حالياً)^{٢٥}.

هذا ولم تنحصر تلك الطموحات الأكسومية في السيطرة على بلاد اليمن، من أجل أهميتها السياسية، بل تعدى ذلك إلى مطامع اقتصادية أخرى لا تقل أهمية، تكمن في رغبة أكسوم الملحة في الاستحواذ على ثروات تلك المنطقة، الناجمة عن تجارة البخور الرائجة، التي كانت تدر حينئذ أموالاً طائلة على الحميريين^{٢٦}، وذلك طبقاً لما ورد بالعديد من الكتابات الكلاسيكية^{٢٧}، هذا فضلاً عن العائد المالي الضخم، الذي كانوا يجنونونه أيضاً من وراء تجارتهم للسلع الهندية المجلوبة بوفرة إلى موانئهم، والتي كانوا يقومون بنقلها من هناك، مع قوافل البخور عبر مراكزهم التجارية، إلى سائر أسواق منطقة البحر المتوسط^{٢٨}، ومما لاشك فيه بأن هذا من شأنه أن يفسر ذلك الارتباط الوثيق والملحوظ، للتمركز الدائم للتهديدات الأكسومية وتسلسلها طوال تاريخها القديم لليمن، على أبرز مراكزها التجارية

٢١. جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٦٣.

٢٢. فتحى غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص ٣٧.

٢٣. Mekouria, «Christian Aksum», p. 402-403.

٢٤. رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٥٦.

٢٥. شوقي عطا الجمل، «جزر البحر الأحمر ومضايقه وأهميتها الإستراتيجية»، ص ٢٠٥.

٢٦. Huzayyin, *Arabia and the Far East*, p. 133.

٢٧. Diodorus of Sicily II, p. 47; Strabo, *The Geography of Strabo VII*, p. 347; Theophrastus, *Enquiry into Plants II*, p. 233-235.

٢٨. سهام محمد عبد العظيم، الصراع البيزنطي الفارسي في البحر الأحمر، ص ٢٣-٢٤.

للنصرانية كديانة، رغم مشاركتها المباشرة في محاربة أنصارها، ويستدل على ذلك من خلال ما ورد بنقشهما هذا،
فيما نصه^{٢٠}:

١- [Xʿθo] |

مع وى ت /

معويت

٢- [X]oη | Xo1θ | ηπ

ب ن / ول ع ت / ن ع م ت /

إبن ولعت (و) نعمت

٣- [XXϕ] | [ΔΓ1Δ] | ηπ

ب ن / م ل ك م / م ق ت ت /

ابن مالك ضباط (تحت إمرة)

٤- [ηηΔϕη] | [ηηϕΔ] |

شرح أل / ذى ز أن /

شرحئيل اليزنى

٥- [ηηϕΔ] | [ηηϕΔ] |

رب هود / برح م ن

رب يهود بالرحمن

وهكذا يتضح مما سبق أن اليهودية عبر تاريخها الطويل باليمن، لم يحاول أنصارها التورط في صراعات مع النصرانية أو غيرها، وإنما تعايشت هناك فى أمن وسلام دائمين، ومن أجل هذا فإنه يستبعد إرتباط إضطهادات الملك اليهودى يوسف أسار لنصارى بلاده، بدوافع دينية تتعلق بيهوديته، والجدير بالذكر بأن ذلك ينطبق أيضاً على الأكسوميين أنفسهم، وعلى سبب غزوهم كذلك لليمن، إذ إنه لم يكن هو الآخر ناجماً من قريب أو بعيد عن وازع دينى، يرتبط ببغض أكسومى لليهودية كعقيدة، أو الإنتقام منها فى شخص هذا الملك الحميرى، خاصة وأنها ليست بالديانة الغربية على مملكة الأكسوميين، التى عرفتها وانتشرت بين قبائلها منذ فجر تاريخها، حتى إن أساطيرهم تزعم بأن الملك منليك مؤسس تلك الدولة، كان ابناً لحاكم مملكة إسرائيل سيدنا سليمان (عليه السلام)، من زوجته

٢٠. Ryckmans, «Inscriptions sud-arabes», p. 314.

⊕ | ከበሐ

سبأ / و
سبأ
و

፩- ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር

ذري دن / وحضرموت / ويمنت / وبرأو / وهوثرن / وهقوح / وهشق
ذريدان وحضرموت ويمنت شيد وأسس (القواعد) وجصص و(أتم) البناء

፩- ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር

رن / بيتهم / شوحطن / بن / موثره / عدى / تفرعهو / بمقم / م
بيتهم (الشوحط)^{١٨} من أسفله إلى أعلاه لمقام

፩- ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር | ከባሕር

رأه مو / مرأ / سمى / ورخه / ذداون / بخري فن / ذلثلت / وتسعى
سيدهم رب السماء تاريخه ذداون^{١٩} بالعام ثلاثة وتسعين

፩- ከባሕር | ከባሕር

وأربع / مأم
وأربع مائة

هذا ولم تقتصر عدم الإشارة لإزدراء النصرانية على نقوش ملككرب بهامن، أو غيره من ملوك حمير المعتنقين لليهودية، بل امتد هذا ليشمل أيضاً كبراء رجال تلك الدولة من اليهود، الذين خلت نقوشهم هم الآخرين من كافة مظاهر هذا الإزدراء، حتى مع هؤلاء الذين شاركوا يوسف أسأر نفسه في حروبه ضد النصرانية ذاتها، ويتجلى هذا ظاهراً عبر النقش الموسوم بـ «Ry.515»، الذى سجله ضابطان أو قائدان تحت إمرة قيل يدعى «شرحئيل اليزنى 1ከሕረ | ከሕረ»، يعد من أشهر قواد يوسف أسأر المشاركين في جميع حروبه ضد الأكسوميين والنصارى اليمانيين، ولعل أبرز ما يميز ما دونه هذان الضابطان في نقشهما السالف الذكر، يكمن في عبارة «رب يهود الرحمن»، التى تؤكد - دون شك - اعتناقهما لليهودية والتحمس لها، مع أن نقشهما قد خلا تماماً من سائر الألفاظ المعادية

١٨. الشوحط (ከሕረ) هو نوع من الأقيسة غير المعلومة. خليل يحيى نامى، العرب قبل الإسلام، ص ١١٥.

١٩. ذداون (ከሕረ): شهر حميرى يعادل يناير وقد ورد ذكره في نصوص أخرى باسم ذذث (፩):

Robin, «Le calendrier himyarite» p. 44.

والأكثر من هذا إنه حتى بعد أن غدت اليهودية تمثل الديانة الرسمية للدولة الحميرية، حينما اعتنقها بعض من ملوكها السابقين ليوسف أسار، لم يسع هؤلاء الملوك اليهود من قريب أو بعيد إلى إضطهاد النصرانية، وذلك طبقاً لكتاباتهم التي خلت وبصفة تامة من كافة إشارات الإضطهادات الدينية، ولعل ذلك يتجلى واضحاً في نقوش أول ملوكهم المعتنقين لليهودية، وهو الملك «ملككرب يهأمن | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪» بأواخر القرن الرابع الميلادي، عبر نقشه الموسوم بـ«Glaser 389»، الذي عثر عليه في بلدة «منكث 𐩠𐩢𐩣𐩠𐩪» بظفار، والمؤرخ بالعام الحميري ٤٩٣ المتوافق مع عام ٣٧٨ ميلادياً، (حيث يبدأ التقويم الحميري بعام ١١٥ ق.م^{١٤}، والجدير بالذكر أن ذلك النقش قد إشتمل للمرة الأولى في الكتابات المسندية على رموز التوحيد محل الوثنية، المتمثلة في صيغة «مرأ / سمي 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪» التي تعني «رب السماء»^{١٥}، والتي تعد حينذاك من أبرز الدلالات المشيرة لليهودية بالنقوش المسندية، رغم ورودها بصيغ أخرى متعددة بها، كلفظة «بسمين 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪»، التي تعني أيضاً «رب السماء»، كما في تلك العبارة الواردة بالنقش الموسوم بـ«CIH.543» عبر السطرين الأول والثاني، فيما نصه^{١٦}:

١- 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪

ت ب رك / س م / رح م ن ن / ذ ب س م ي ن / و ي س ر آل / و

تبارك اسم الرحمن رب السماء وإسرائيل

٢- 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 ...

ال ه م و / رب ي ه د ...

والههم رب يهود ...

وعامة فإنه يتضح من خلال العودة للنقش المشار إليه آنفاً والموسوم بـ«Glaser 389»، أنه في ظل اهتمام الملك ملككرب يهأمن وولديه، اللذين أشركهما معه في الحكم، باليهودية كديانة رسمية لدولتهم، عبر حرصهم البالغ بإنشاء دور للعبادة خاصة بها، وذلك طبقاً لما أورده هذا النقش من قيامهم بتشييد معبد أو بيت لذلك الغرض، فرغم هذا التحمس الشديد من ذلك الملك ليهوديته، إلا أنه لم يحاول نشرها أو محاباتها على حساب النصرانية أو حتى الوثنية، وذلك استناداً إلى نقشه هذا الذي خلا وبصفة تامة من مثل تلك المحاولات، وأيضاً من كافة الألفاظ أو الإشارات الدالة على ازدرائه لهاتين الديانتين، ويتجلى هذا واضحاً خلال استعراض ما ورد بالنقش السابق الذكر، فيما نصه^{١٧}:

١- 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪 | 𐩧𐩢𐩣𐩠𐩪

م ل ك ك رب / ي ه أ م ن / و ب ن ي ه و / أ ب ك رب / أس ع د / و ذ ر أ م ر / أي م ن / أم ل ك /

ملككرب يهأمن وأبنيه أبو كرب أسعد وذرأمر أيمن ملوك

١٤. عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهره في العصور القديمة، ص ٢٦٦.

١٥. المرجع السابق، ص ٣٦٦.

١٦. أحمد الدبش، كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب، ص ٢٦١؛ 884؛ Robin, «Himyar et Israël».

١٧. Solá, «La inscripción GL. 389 Y los comienzos del Monoteísmo en Sudarabia», p. 198.

وانعكس أثر ذلك التواجد اليهودى الكبير فى اليمن - بلا شك - على النقوش المسندية، التى إكتظت بالعديد من الصيغ العبرية، خاصة لفظة «شلوم»، والأمثلة على ذلك أيضاً كثيرة ومتنوعة، منها على سبيل المثال عبارة: «شلوم شلوم سيد بكيل»^٩، وكذلك ما ورد أيضاً بنقش مسندى على أحد شواهد القبور لإمرأة يهودية، ما نصه^{١٠}:

– | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨

ق ب ورت / ل أه / ب ت / ى و
قبر لئه بنت يو

– | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨

ده / ل ن ح ن ه و / رح م ن ن /
ده اراحها الرحمن

– | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨

ام ن / ش ل وم /
أمين شلوم

هذا بالإضافة إلى الكثير من العبارات التى إشتملت عليها أيضاً النقوش المسندية، والتى تشير هى الأخرى من الوهلة الأولى إلى يهودية أصحابها، كتلك العبارة التى سجلها شخص يدعى «تميم» من بنى حضيت، بما نصه^{١١}:

... | 𐩧𐩢𐩨 | 𐩧𐩢𐩨

... / ع ل ى / س م / رح م ن ن / وت ف / ت م م م / ذ ح ض ى ت / رب ه د / ب م ح م د

... على اسم الرحمن دون تميم من آل حضيت رب يهود/ ب (ال) محمود

وعامة فبالرغم من ذلك الإنتشار القديم الذى حققته اليهودية باليمن قبل عصر يوسف أسار، إلا إنه لم يرد بالنقوش المسندية ولا ببقية المصادر، ما يشير إلى أن اليهود هناك خاضوا غمار الصراعات العقائدية ضد أصحاب الديانات الأخرى، سواء الوثنية أو حتى النصرانية، التى هى أيضاً قد أخذت تنتشر وبشكل مكثف باليمن، منذ منتصف القرن الرابع الميلادى وتحديداً عام ٣٥٤م، عندما أرسل الامبراطور قسطنطىوس الثانى (٣٣٧-٣٦١م)، إليها المُبشر ثيوفيلوس، الذى تمكن من تأسيس عدة كنائس^{١٢}، فى عدن وظفار وقنا^{١٣}.

٩. أسمهان سعيد الجرو، دراسات فى التاريخ الحضارى اليمنى القديم، ص ١٨٤.

١٠. Robin, «Himyar et Israël», p. 891.

١١. Jamme, *Sabaeen and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia*, p. 39-40.

١٢. Muller, «Survey of the History of the Arabian Peninsula», p. 128.

١٣. Beeston, «Himyarite Monotheism», p. 149.

الإعتبار ما ورد كذلك ببقية المصادر الأخرى المرتبطة بهذا الخصوص، والتي لا يمكن الغنى عنها، ومن بينها بالطبع تلك المراسلات الكنسية السالفة الذكر، بعد إنتقاء ما بها من حقائق وتجنب المبالغات.

وعامة فإن الدراسة التاريخية لسائر المصادر التي تناولت ذلك الصراع وفي مقدمتها النقوش المسندية، تشير إلى حقيقة تاريخية بالغة الأهمية، لما تمثله في هذا المضمون من مرحلة تمهيدية أو مدخل أساسى لهذا الصراع، وذلك إنطلاقاً مما تحويه من دلالات قوية، تؤكد أن ما شهدته حمير خلال عهد يوسف أسار من صراع دموى بين اليهودية والنصرانية، يعد في ذاته حدثاً فريداً وغير مسبوق في تاريخ الأديان ببلاد اليمن، ولولا التدخلات الدولية المغرضة لتجنبت تلك المنطقة ويلات هذا الصراع وعواقبه الجسيمة، ويُستدل على ذلك ويُدعمه، ما ورد بعموم المصادر عن مدى التعايش السلمى والملحوظ بين أصحاب هاتين الديانتين السماويتين منذ أن عرفتاهما تلك المنطقة، والذي يسبق عصر يوسف أسار بفترات بعيدة، ربما تصل وبخاصة مع اليهودية إلى بدايات الحضارة اليمنية ذاتها، وتحديدًا في القرن العاشر ق.م، عبر الرحلة الشهيرة لحاكمة سبأ إلى أورشليم، في زيارة ملكها النبي سيدنا سليمان (عليه السلام)، التي وردت تفاصيلها بالكتب السماوية الثلاثة^٤، والتي جعلت من بلاد اليمن منذ ذلك الحين مركزاً يهودياً، تطورت مكانته وتفاقت مع القرون الميلادية الأولى، كملجأ وملاذ آمن لليهود أورشليم الفارين من الإضطهاد الرومانية التي تعرضوا لها، لاسيما على عهد الإمبراطورين فسباسيان إبان القرن الأول الميلادى، وهادريان بالقرن التالى^٥، مما أدى إلى تكوين جالية يهودية كبيرة باليمن، توطن وجودها خلال ذلك الترحيب البالغ من بعض ملوك اليهود الحميرين، لنشر تلك الديانة بين اليمنيين، كالمملك «أبو كرب أسعد 𐩧𐩣𐩪𐩥 | 𐩧𐩣𐩪𐩥» بالربع الأول من القرن الخامس الميلادى، حينما إستقدم إلى اليمن من أجل هذا الغرض أحبار من يهود يثرب^٦، هذا وقد تردد ذكر تلك الجالية اليهودية بالنقوش المسندية بعبارة: «شعب إسرائيل»، وهناك العديد من الأدلة المسندية الدالة على ذلك، منها على سبيل المثال ما جاء بنقشيين موجودين بمتحف ظفار، لشخصيين يهوديين، أحدهما يدعى «بنيامين 𐩧𐩣𐩪𐩥»^٧، والآخر يدعى «يهودا 𐩧𐩣𐩪𐩥» ويمكن توضيح ذلك من خلال ما ورد في هذا الصدد عبر السطرين الثانى والثالث من النقش الأخير، فى نصه^٨:

𐩧𐩣𐩪𐩥 | 𐩧𐩣𐩪𐩥

ب ردأ / وب زك ت / م رأه و / ذب رأ / ن ف سه / م رأ / ح ي ن / وم وت ن / م رأ / س
بعون وبتفضل ربه المبدع لروحه رب الحياة والممات رب

𐩧𐩣𐩪𐩥 | 𐩧𐩣𐩪𐩥

م ي ن / وارض ن / ذب رأ / ك ل م / وب صل ت / ش ع ب ه و / س رأل / ...
السماء والأرض المبدع إبتها ل ودعاء شعبه إسرائيل ...

٤. القرآن الكريم، سورة النمل، الآيات ٢٠-٤٤؛ العهد الجديد، إنجيل لوقا، اصحاح ١١، آية ٣١؛ العهد القديم، الملوك الأول، اصحاح ١٠، آية ١ وما بعدها.

٥. رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٤٨.

٦. Robin, «Les Arabes de Himyar», p. 189

٧. Robin, «Himyar et Israël», p. 882

٨. *Ibid.*, p. 883-884

السيد محمد السعيد عبد الله

اليهودية ودورها في الصراع الحميري الأكسومي على عهد يوسف أسار بنقوش المسند

ساهمت اليهودية بدور فعال في سائر علاقات حمير الخارجية، خلال الربع الأول من القرن السادس الميلادي، وبخاصة مع المعسكر المسيحي الذي كانت تزعمه حينذاك بيزنطة، وحليفها الدينية مملكة أكسوم ذات الأصول اليمنية، والمزدهرة سياسياً منذ القرن الأول الميلادي^١، وقد اتخذت هاتان القوتان من مؤازرة المسيحية ونصرتها باليمن، وسيلة لتحقيق مصالحهما بتلك المنطقة الحيوية من جزيرة العرب، مستغلة في ذلك مدى الوهن الكبير، الذي إنتاب دولة الحميريين في أواخر عهدها، رغم المحاولات الجادة من ملكها اليهودي «يوسف أسار» (𐩦𐩣𐩪𐩥 | 𐩦𐩣𐩪𐩥) (٥١٨-٥٢٥م)، في التصدي لتلك المطامع الأجنبية، عبر إضطهادات واسعة للمسيحية في بلاده، تجلت في مذبحه نجران الشهيرة^٢، التي تعد بمثابة الذريعة الكبرى لتلك القوى المتربصة باليمن، في ظل تعالي صيحات المراسلات الكنسية للإستغاثة بالعالم المسيحي، لنصرة العقيدة والإنتقام من يهودية الحميريين ومليكنهم، في حمية دينية - تبدو للباحث - وكأنها تقترب كثيراً من أجواء الدعوة للحروب الصليبية بالعصور الوسطى.

وعلى الرغم من أهمية تلك المراسلات الكنسية، كوثائق معاصرة لأحداث ذلك الصراع، الذي خاضته القوى الدولية ضد يوسف أسار، المعروف لديها باسم «مسروق»^٣، إلا أن الطابع الروحي لتلك المراسلات، جعلها تنحصر في الجانب الديني من هذا الصراع دون غيره، عبر هالة ضخمة من مبالغات جسيمة، أفقدتها الكثير من موضوعيتها، مما أضفى هذا بدوره أهمية بالغة على النقوش المسندية، كمصدر أول وأساسي للتأريخ عن هذا الحدث الجلل، لاسيما وأن مدونيتها كانوا من كبراء القادة العسكريين المشاركين بأنفسهم في ذلك الصراع، هذا أيضاً مع الأخذ في

١. عبد المنعم عبد الحليم سيد، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، ص ٦٥٥.

٢. Beeston, «Himyarite Monotheism», p. 149.

٣. Drewes, «Kaleb and Himyar», p. 27.